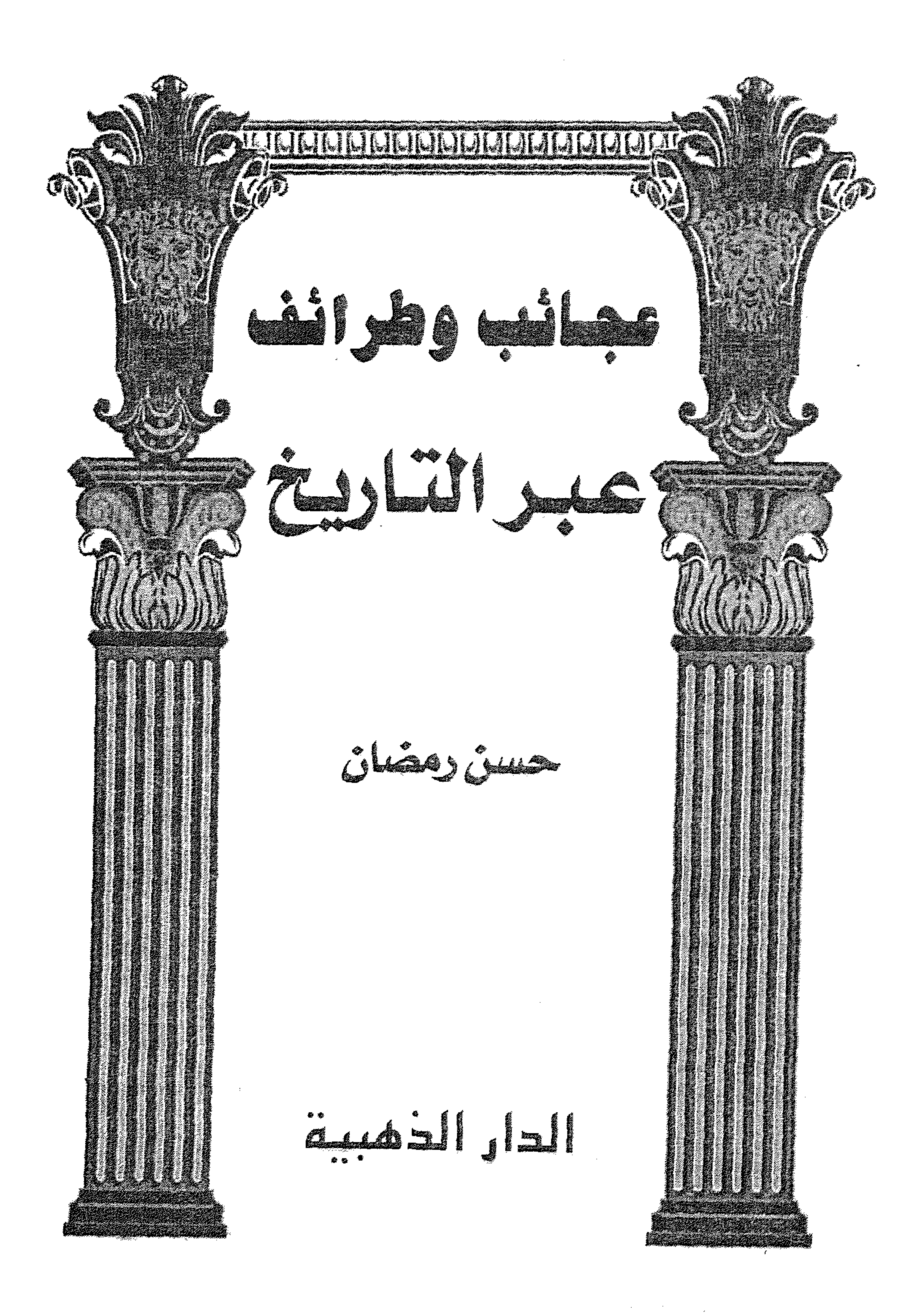
عجائب وطرائف
عبر التاريخ

حسن رمضان

الدار الذهبية



عجائب وطرائف عبر التاريخ

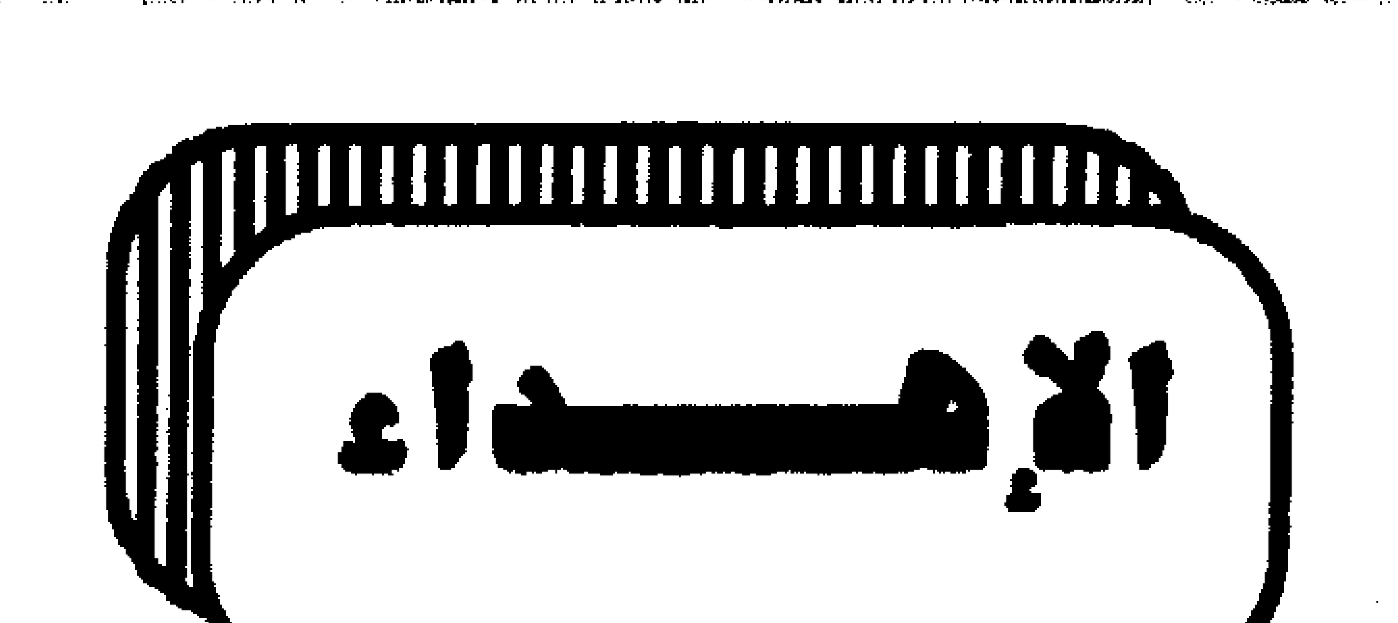
حسن رمضان

الدار الذهبية



الدار الذهبية للطبع والنشر والتوزيع

٨ ش الجمهورية - عابدين - القاهرة - ت :٣٩١٠٣٥٤ - فاكس : ٧٩٤٦٠٣١



الإهـــــداء

إلى روح الصمود فى انتفاضة الأقصى التى تقلق راحة إسرائيل.. ولا تجعلها تجنى - يوماً - ثمرة بغيها..

إلى روح الفدائى الذى خرج يحمل هَمَّ أمته على رأسه، وروحه على كفيه يقدمها بكل قناعة... إلى أطفال الحجارة الذين يواجهون ترسانة عاتية لا تعرف شفقة ولا رحمة.. يقابلونها بوجوه غاضبة!!

ويجذبون خيوط الفجر - بعد ليلٍ طويل!! -

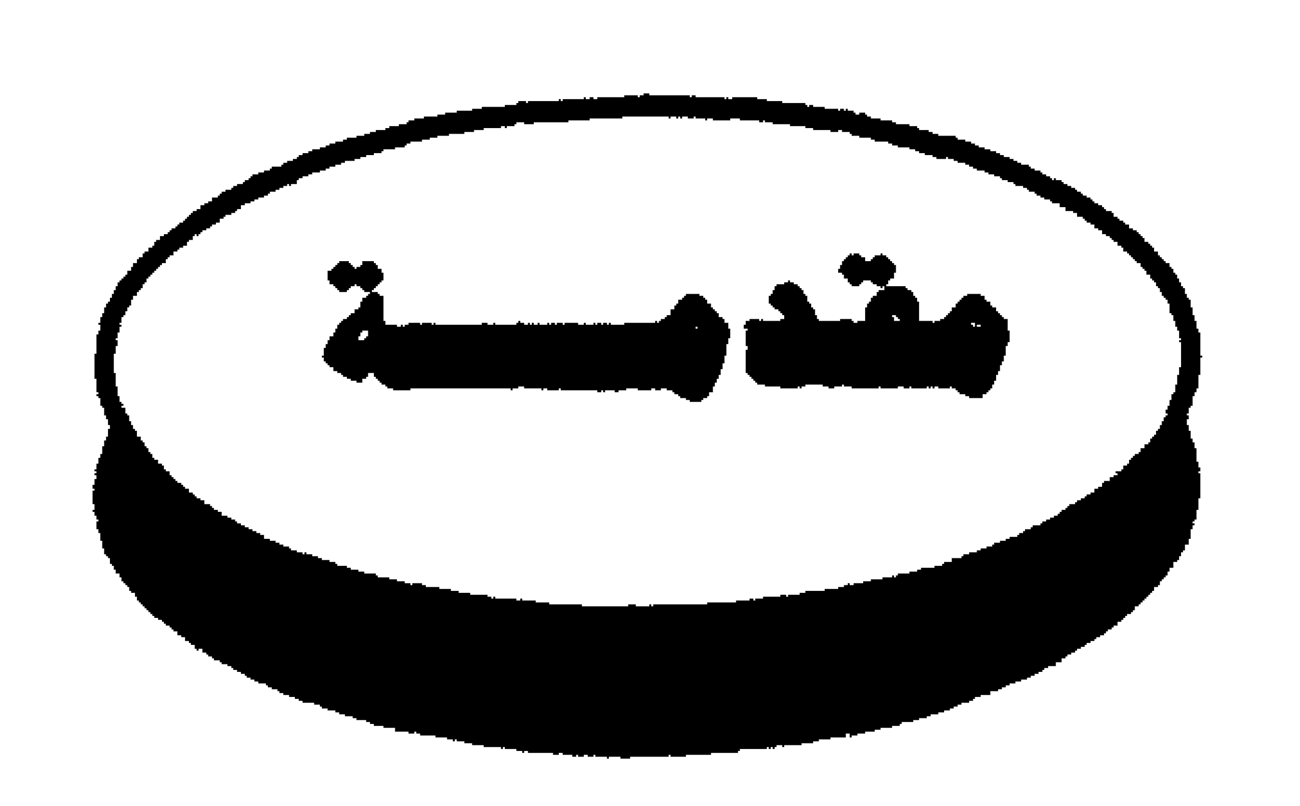
إلى الأمهات والآباء الثكالى الذين يترقبون ساعة الخلاص!!

إلى كل مَنْ يساندهم ويصلى من أجلهم.

إليهم جميعاً أهدى هذا الكتاب.. وأبشرهم بنصر قريب.. فهذا وعد الله، ولا يخلف الله وعده..

(المؤلف)





مقدمة

الحمد لله بديع السموات والأرض أتقن كل شئ خَلَقَهُ خزائنه ملأى بالنعم والأسرار، يرينا آياته فى الآفاق وفى أنفسنا حتى تتبين لنا أية الحق القيوم على خلقه..

وأصلى وأسلم على آيته فى خَلْقِهِ محمد بن عبد الله الذى عاش حياته من أجل هداية البشرية إلى ربها اللهم اجزه خير ما جزيت نبياً عن أمته.

أما بعد: فالتاريخ يعتبر مُعَلماً فى مدرسة الحياة والنابه هو الذى يتعلم منه ما ينفعه، ويعتبر بالدروس التى يطرحها على البشرية من خلال الأحداث التى تقع مع كرّ الأيام والأعوام.

وهذا الكتاب رحلة مع السِّفْر القَيِّم «البداية والنهاية» للإمام ابن كثير رحمه الله.. وهو مرجع هام فى التاريخ تبدأ أحداثه من بداية الكون وحتى عام سبع وستين وسبعمائة هجرية (٧٦٧ هـ).

وقد حوى من العجائب والغرائب والطرائف شيئاً كثيراً وهى منثورة خلال الأحداث.. فقمت بجمعها فى فصول، منها: عجائب المخلوقات، عجائب الأرض، عجائب الحِيَل، عجائب بعد الموت، عجائب الفَرَاسَة، عجائب الذكاء، عجائب الأحوال، عجائب الفجور.. وغيرها..

وقد قمت بالتعليق على بعضها باختصار..

وقد هدفت من جمع هذه الأخبار التأمل فى خلق الله، والاعتبار بما يقع من الأقدار، وإشباع النفس الشغوفة إلى كل غريب وطريف للتسلية والمتعة والمعرفة..

أسأل الله أن يوفقنى فيما قصدت، وأن تستمتعوا كما استمتعت.





● ذكر الإمام ابن كثير رحمه الله فى أحداث سنة ٣٠٤ هـ: أنه فى نصف هذه السنة اشتهر ببغداد أن حيواناً يقال له الزرنب(١) يطوف بالليل يأكل الأطفال من الأَسِرَّة ويعدو على النيام فربما قطع يد الرجل وثدى المرأة فجعل الناس يضربون على أسطحتهم على النحاس من الهواوين وغيرها ينفرونه عنهم، حتى كانت بغداد بالليل ترتج من شرقها وغربها، واصطنع الناس لأولادهم مكبات من السَّعَف وغيرها، واغتنمت اللصوص هذه الشوشة فكثرت النقوب وأخذت الأموال.

فأمر الخليفة (المقتدر) بأن يؤخذ حيوان من كلاب الماء فيُصَلَّب على الجسر ليسكن الناس عن ذلك، ففعلوا فسكن الناس ورجعوا إلى أنفسهم، واستراح الناس من ذلك.(٢)

الصبية العمياء!!

● ذكر ابن كثير فى أحداث سنة ٥٠١ هـ: قال ابن الجوزى: وظهر فى هذه السنة صَبِيَّة عمياء تتكلم على أسرار الناس، وما فى نفوسهم من الضمائر والنيات، وبالغ الناس فى أنواع الحيل عليها ليعلموا حالها فلم يعلموا.

قال ابن عقيل: وأشكل أمرها على العلماء والخواص والعوام، حتى سألوها

---

(١) فى ابن الأثير وتاريخه الكامل جـ ٨/ ١٠٥: زيزب. والزيزب دابة كالسنور.

(٢) البداية والنهاية جـ ١١/ ١٤٣ ط دار إحياء التراث ومؤسسة التاريخ العربى. بيروت ـ لبنان.



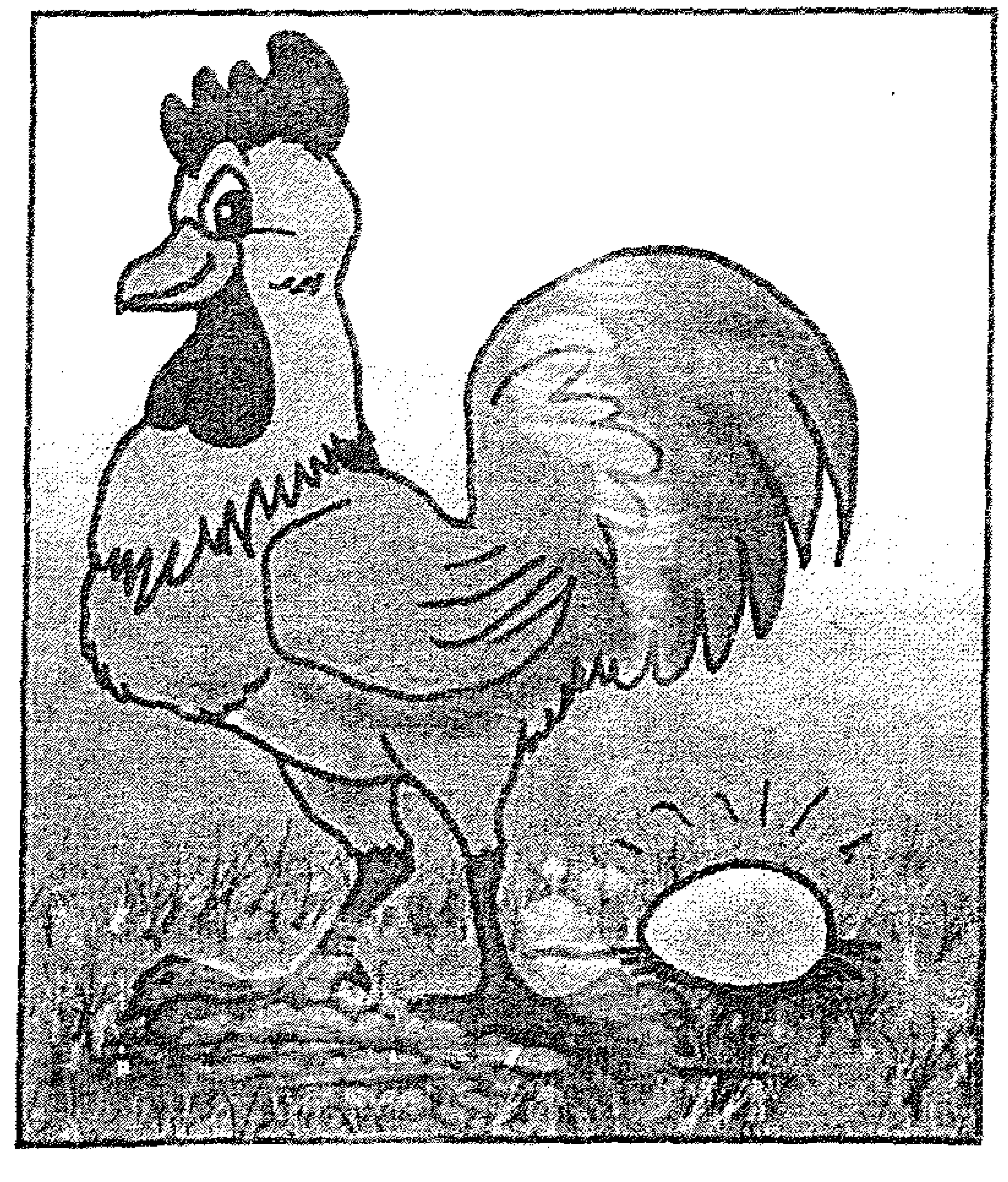
عن نقوش الخواتم المقلوبة الصعبة، وعن أنواع الفصوص وصفات الأشخاص وما فى داخل البنادق من المشمع والطين المختلف، والخزف وغير ذلك فتخبر به سواء بسواء.(١)

* * *

قلت: أظنه الجن يخبرها، فلا مجال لمعرفة الغيب النسبى إلا بإخباره.. أما الغيب المطلق فينفرد به الله تعالى. ومعرفة الصبية لما فى الضمائر والنيات مبالغة لا تصح.

وباض الديك!!

● ذكر ابن كثير عن ابن الجوزى أنه قال: إن فى هذه السنة باض ديك بيضة واحدة. (سنة ٥٤٧ هـ) ثم باض بازىّ بيضتين، وولدت نعامة من غير ذكر، وهذا شئ عجيب!!(٢)



* * *

لم نسمع بذلك من قبل، فالديك لا يبيض.. والنعامة ـ أو غيرها ـ لا تلد من غير ذكر.. ولكن الله تعالى يخرق الأسباب ليبين أن الأمور لا تجرى بطريقة ميكانيكية.. وأنه حى قيوم على خلقه.. سبحانه!!

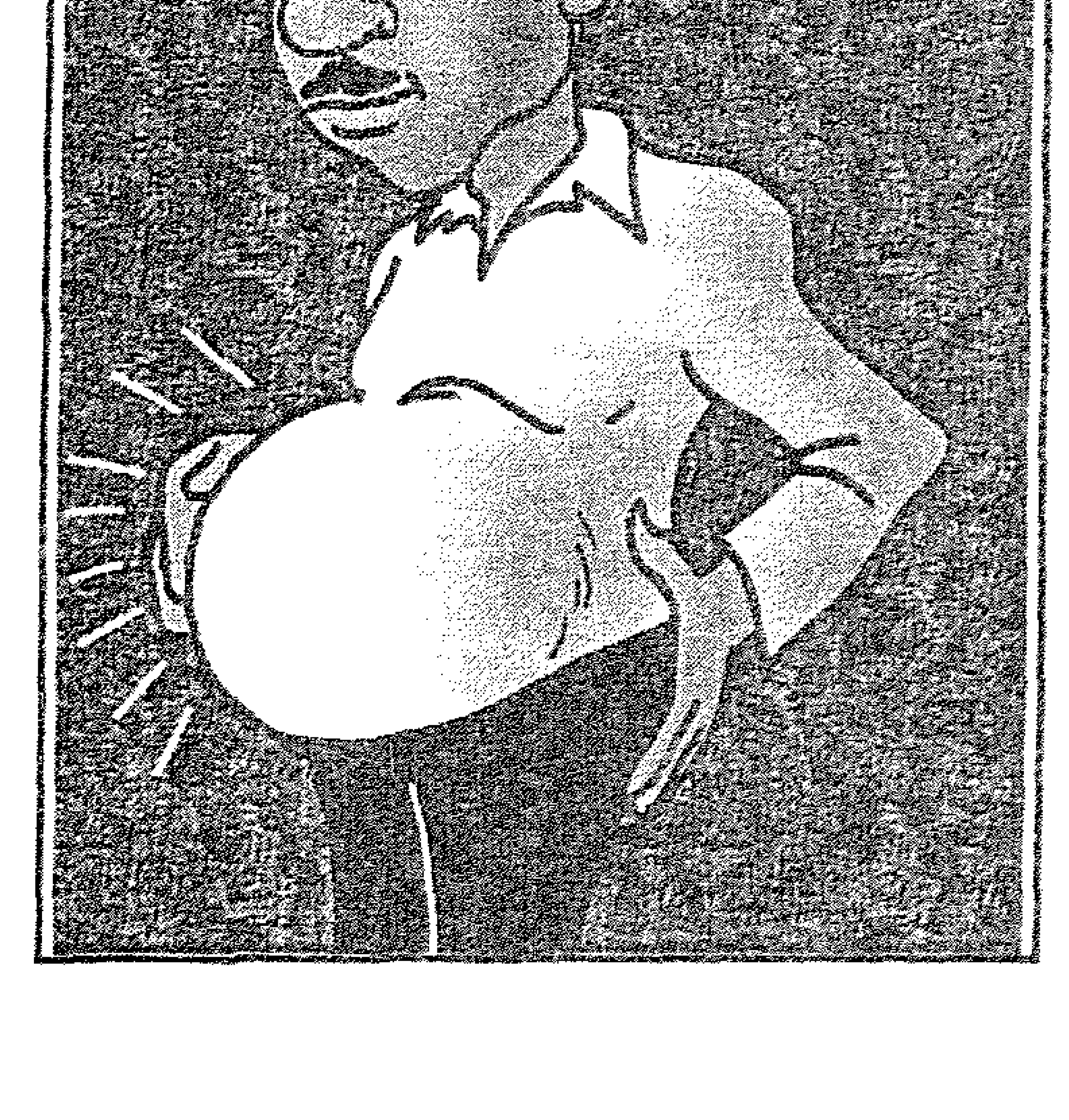
---

(١) المصدر السابق جـ ١٢/ ٢٠٩.

(٢) نفس المصدر جـ ١٢/ ٢٨٦. ويقال للبازى صقر.



الرجل الحامل!!
من وقائع سنة ٥٧٢ هـ



● حكى ابن كثير هذه الغريبة عن ابن الجوزى فى المنتظم عن امرأة قالت: كنت أمشى فى الطريق وكان رجلاً يعارضنى (أى يُغَازِلنِى)[1] كلما مررت به، فقلت له: إنه لا سبيل إلى هذا الذى ترومه (أى تريده) منى إلا بكتاب وشهود، فتزوجنى عند الحاكم.

فمكثتُ معه مدة ثم اعتراه انتفاخ ببطنه فكنا نظن أنه استسقاء فنداويه لذلك.

فلما كان بعد مدة وَلَدَ ولداً كما تلد النساء، وإذا هو خنثى مشكل، وهذا من أغرب الأشياء!![2]

* * *

فى بلدنا مصر تعنى أجهزة الدولة بتنظيم النسل وتدعو الجماهير إلى الوعى القومى حتى لا تلتهم الأفواه مصادر الدخل وتقضى على الخطط الطموحة لزيادة الانتاج..

ولذلك تدعو الأمهات «الأرانب» للتنظيم. هذه وجهة نظر الحكومة، ويتفق معها البعض أو يختلف..

---

(١) ما بين المعكوفتين ( ) من كلام المؤلف. (٢) البداية والنهاية جـ ١٢/ ٣٦٤.



وإذا كانت الحكومة تحاول مع النساء فكيف الحال إذا وجدت رجالاً من هذا النحو الذى حكى عنه ابن الجوزى أظن أنها تكون الطامة الكبرى!!!

دابة البحر العجيبة!!!

● روى ابن كثير عن الشيخ علم الدين البرزالى فى تاريخه أنه قال: قرأت فى بعض الكتب الواردة من القاهرة أنه لما كان بتاريخ يوم الخميس رابع جمادى الآخرة ظهرت دابة من البحر عجيبة الخِلقة من بحر النيل إلى أرض المنوفية، بين بلاد منية مسعود وإصطبارى والراهب، وهذه صفتها: لونها لون الجاموس بلا شعر، وأذناها كأذن الجمل، وعيناها وفرجها مثل الناقة، يغطى فرجها ذنب طوله شبر ونصف طرفه كذنب السمكة، ورقبتها مثل غلظ التِلِّيس المحشو تبناً (أى الكيس الذى تعبأ فيه الغلال) وفمها وشفتاها مثل الكربال (مندف القطن، وما تكربل به الحنطة أيضاً. كما فى محيط المحيط).

ولها أربعة أنياب اثنان من فوق واثنان من أسفل، طول كل واحد دون الشبر فى عرض أصبعين، وفى فمها ثمان وأربعون ضرساً وسن مثل بيادق الشطرنج، وطول يديها من باطنها إلى الأرض شبران ونصف ومن ركبتها إلى حافرها مثل بطن الثعبان، أصفر مجعد، ودور حافرها مثل السُكُرُّجَة (إناء صغير يؤكل فيه الشئ القليل من الأُدْم، وهى كلمة فارسية كما فى لسان العرب لابن منظور). بأربعة أظافير مثل أظَافير الجمل، وعرض ظهرها مقدار ذراعين ونصف، وطولها من فمها إلى ذنبها خمسة عشر قدما وفى بطنها ثلاثة كروش، ولحمها أحمر وزفر مثل السمك، وطعمه كلحم الجمل، وغلظه أربعة أصابع ما تعمل فيه السيوف، وحُمِلَ جلدها على خمسة جمال فى مقدار ساعة من ثقله على جمل بعد جمل وأحضروه إلى بين يدى السلطان بالقلعة وحشوه تبناً وأقاموه بين يديه والله أعلم.

وقع هذا فى سنة ٧٠٢ هـ.(١)

---

(١) نفس المصدر جـ ١٤ /٢٦.

كان اسمه نفيسة!!

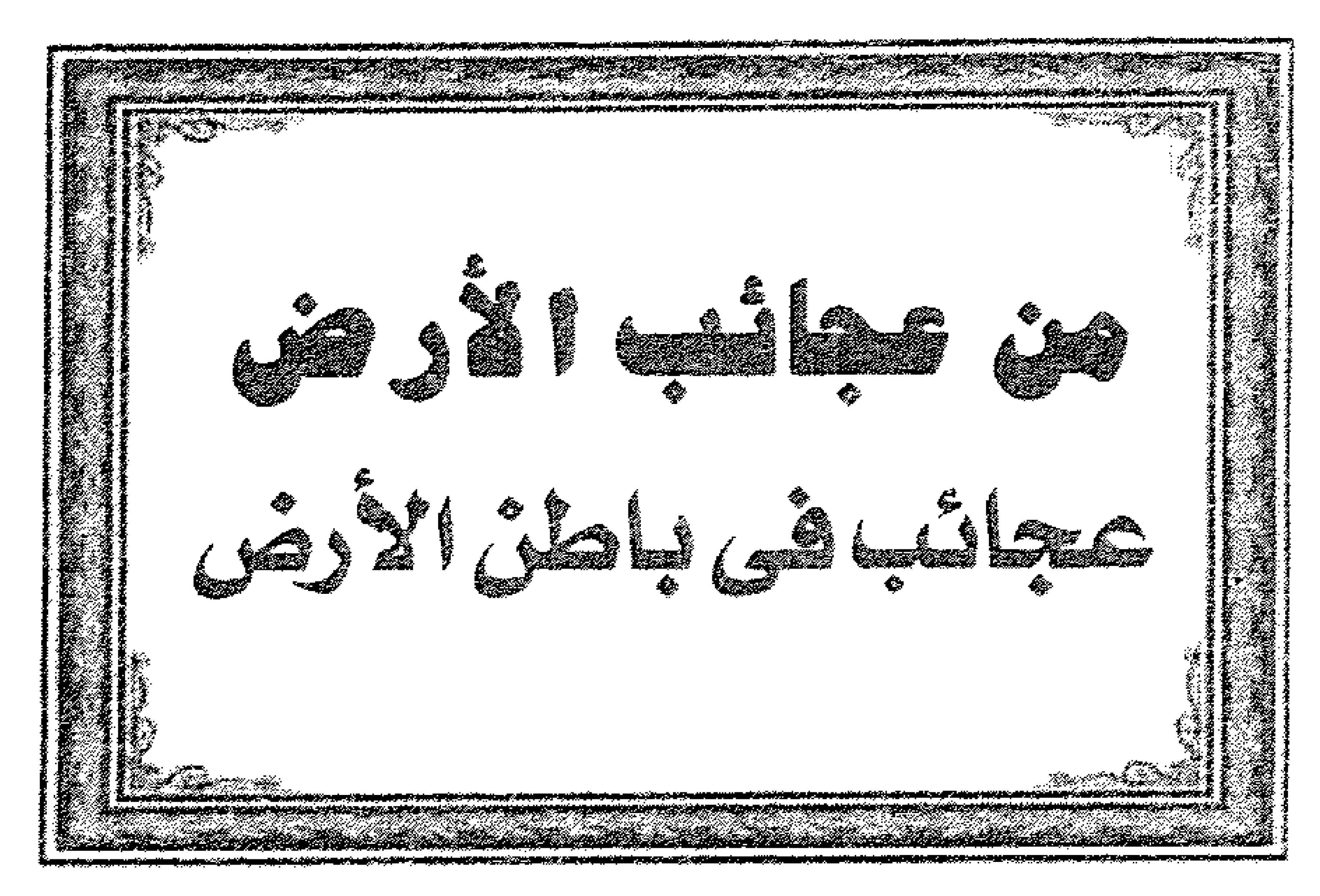
يروى ابن كثير فى وقائع سنة ٧٤٥ هـ فيقول: لما ذهبت لتهنئة الأمير ناصر الدين بن الأقوس بنيابة بعلبك وجدت هناك شاباً فذكر لى من حضر أن هذا هو الذى كان أنثى ثم ظهر له ذكر، قد كان أمره اشتهر ببلاد طرابلس، وشاع بين الناس بدمشق وغير ذلك، وتحدث الناس به، فلما رأيته وعليه قبعة تركية استدعيته إلىّ وسألته بحضرة مَن حضر، فقلتُ له: كيف كان أمرك؟ فاستحيا وعلاه خجل يشبه النساء، فقال: كنت امرأة مدة خمس عشرة سنة، وزوجونى بثلاثة أزواج لا يقدرون علىّ، وكلهم يطلق ثم اعترضنى حال غريب فغارت ثدياى وصغرت، وجعل النوم يعترينى ليلاً ونهاراً، ثم جعل يخرج من محل الفرج شىء قليلا قليلاً، ويتزايد حتى برز شبه ذكر وأنثيان (أى خصيتين)، فسألته أهو كبير أم صغير؟ فاستحيا ثم ذكر أنه صغير بقدر الأصبع، فسألته هل احتلم؟ فقال: احتلم مرتين منذ حصل له ذلك، وكان له قريباً من ستة أشهر إلى حين أخبرنى، وذكر أنه يُحسن صنعة النساء كلها من الغزل والتطريز والزركاش وغير ذلك، فقلت له ما كان اسمك وأنت على صفة النساء؟ فقال: نفيسة، فقلت: واليوم؟ فقال عبدالله، وذكر أنه لما حصل له هذا الحال كتمه عن أهله حتى عن أبيه، ثم عزموا على تزويجه على رابع فقال لأمه إن الأمر ما صفته كيت وكيت، فلما اطلع أهله على ذلك أعلموا به نائب السلطنة هناك، وكتب بذلك محضراً واشتهر أمره، فقَدِمَ دمشق ووقف بين يدى نائب السلطنة بدمشق، فسأله فأخبره كما أخبرنى، فأخذه الحاجب سيف الدين كحلن ابن الأقوس عنده وألبسه ثياب الأجناد، وهو شاب حسن، على وجهه وسمته ومشيته وحديثه أنوثة النساء، فسبحان الفعال لما يشاء، فهذا أمر لم يقع مثله فى العالم إلا قليلاً جداً...

وذُكِرَ لى أن ذكره برز مختوناً فسُمِىَ ختان القمر، فهذا يوجد كثيراً والله أعلم(١).

(١) المصدر السابق جـ ١٤ / ٢٨٥.

* من أراد الاستزادة: فلينظر البداية والنهاية. جـ ١١ / ١٢٤، ١٣٢ جـ ١٢ / ٤٠١. جـ ١٣ / ١٨٢.





من عجائب الأرض

عجائب فى باطن الأرض

رأس يحيى عليه السلام

حكى ابن كثير عن ابن عساكر عن زيد بن واقد قال: وكلنى الوليد على العمال فى بناء جامع دمشق، فوجدنا مغارة فعرَّفنا الوليد ذلك، فلما كان الليل وافانا وبين يديه الشمع، فنزل فإذا هى كنيسة لطيفة، ثلاثة أذرع فى ثلاثة أذرع، وإذا فيها صندوق، ففتح الصندوق فإذا فيه سَفَط (الذى يُعَبَّى فيه الطِّيبُ وما أشبه. لسان العرب).

والسفط فيه رأس يحيى عليه السلام بن زكريا عليه السلام. مكتوب عليه هذا رأس يحيى ابن زكرياء، فأمر به الوليد فَرُدَّ إلى مكانه. وقال: اجعلوا العمود الذى فوقه مُغَيَّرًا من بين الأعمدة، فجعل عليه عمود مسفط الرأس.

وفى رواية عن زيد بن واقد: أن ذلك الموضع كان تحت ركن من أركان القبة ـ يعنى قبل أن تبنى ـ قال: وكان على الرأس شعر وبشر.

وقال الوليد بن مسلم عن زيد بن واقد قال: حضرت رأس يحيى بن زكريا وقد أُخرِج من الليطة القبلية الشرقية التى عند مجلس بجيلة، فوضع تحت عمود الكاسة، قال الأوزاعى والوليد بن مسلم: هو العمود الرابع المسفط[1].

(1) البداية والنهاية جـ ٩ / ١٧٧.

عبير الشهداء

من وقائع سنة ٤٠٤ هـ حكى ابن كثير فقال: وفيها ورد كتاب من خراسان بأنهم وجدوا قبور شهداء قد قتلوا فى سنة سبعين من الهجرة مكتوبة أسماؤهم فى رقاع مربوطة فى آذانهم، وأجسادهم طرية كماهى، رضى الله عنهم[1].

* * *

هذه كرامات الشهداء، كثيراً ما طالعنا بها التاريخ قديماً وحديثاً.. ومن كرامة الشهيد على ربه أنه يحميه من الألم عن أبى هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «ما يَجِدُ الشهيدُ من مَسِّ القتل إلا كما يجدُ أحدُكم من مَسِّ القَرْصَة».

(رواه الترمذى والنسائى، وابن ماجه، وابن حبان فى صحيحه وقال الترمذى: حديث حسن صحيح).

من كنوز الأرض



يحكى لنا ابن كثير - رحمه الله - من وقائع سنة ٤٦٠ هـ. عن ابن الجوزى قال: فى جمادى الأولى... انشقت الأرض عن كنوز كثيرة من المال، وبلغ حِسّها إلى الرحبة والكوفة... وغار البحر مسيرة يوم، وساخ فى الأرض وظهر فى مكان الماء أشياء من جواهر وغيرها، ودخل الناس فى أرضه يلتقطون، فرجع عليهم فأهلك كثيراً منهم، أو أكثرهم.[2]

(١) المصدر السابق جـ ١١/ ١٤٤.
(٢) نفس المصدر جـ ١٢/ ١١٨.



فانظر إلى الدنيا وما تفعل بأصحابها، تزينت لهم بالذهب فلما طلبوها ذهبوا.. فاحذر الدنيا فإنها غادرة!!

التمثال العجيب!!

روى ابن كثير فى وقائع سنة ٩٦ هـ عن ابن عساكر قال: قرأت على أبى محمد السلمى، عن عبد العزيز التميمى، أنبأ تمام الرازى، حدثنا ابن البرامى سمعت أبا مروان عبد الرحمن بن عمر المازنى يقول: لما كان فى أيام الوليد بن عبد الملك وبنائه المسجد احتفروا فيه موضعاً فوجدوا باباً من حجارة مغلقاً، فلم يفتحوه وأعلموا به الوليد، فخرج حتى وقف عليه، وفتح بين يديه، فإذا داخله مغارة فيها تمثال إنسان من حجارة، على فرس من حجارة، فى يد التمثال الواحدة الدُّرة التى كانت فى المحراب، ويده الأخرى مقبوضة، فأمر بها فكسرت، فإذا فيها حبتان، حبة قمح وحبة شعير، فسأل عن ذلك فقيل له لو تركت الكف لم تكسرها لم يسوس فى هذا البلد قمح ولا شعير.(١)

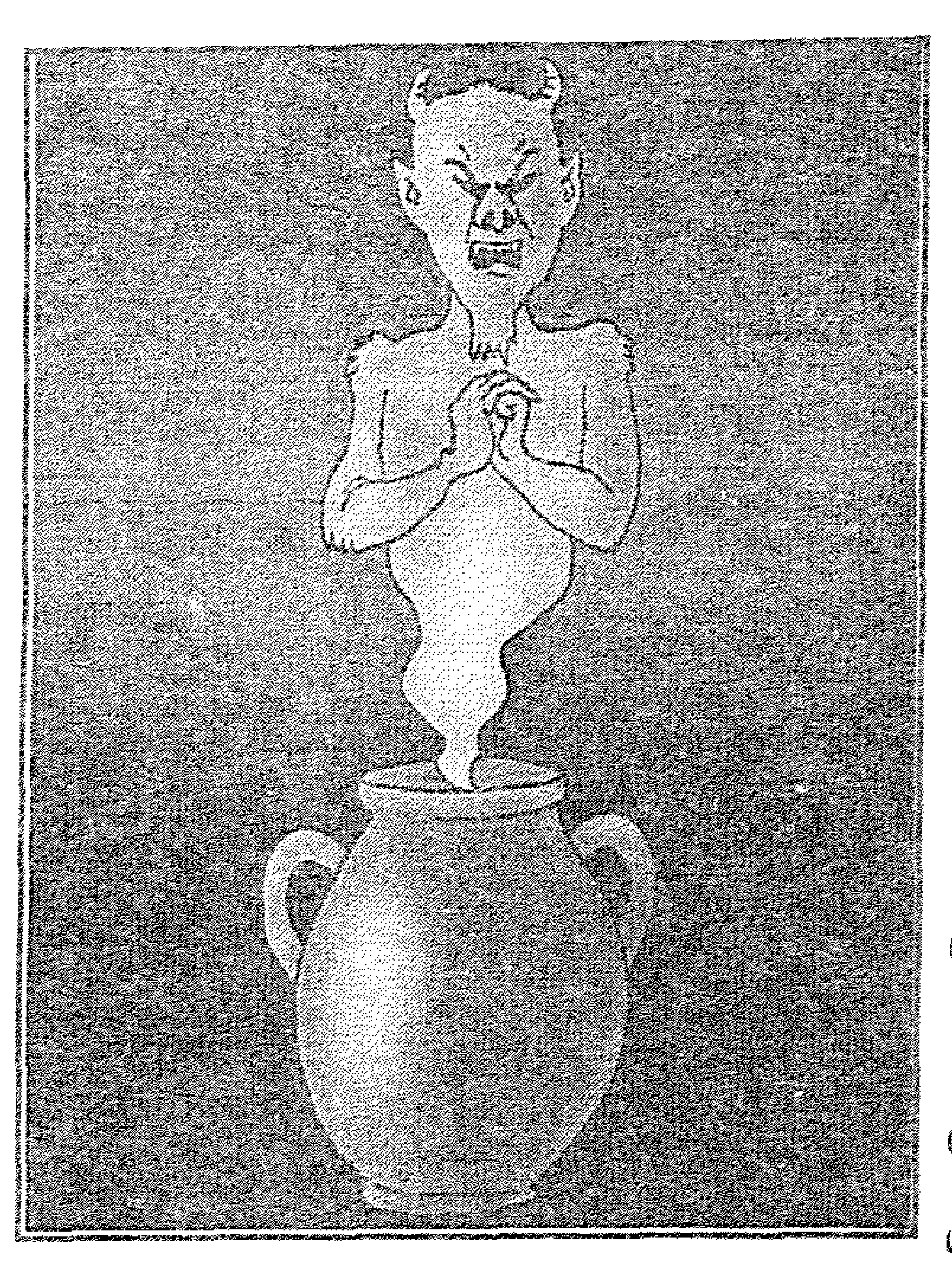
* * *

نقرأ كثيراً عن هذه الطلاسم والأعمال السحرية وما يسمى بلعنة الفراعنة.. وقد طالعنا بكثير من هذه الأخبار الأستاذ أنيس منصور فى بعض مؤلفاته.. وهذه أسرار عجيبة تخفى على الناس.. هل هى أسرار الكلمات أو بعض الأعشاب والأحجار.. أو غير ذلك؟!

هل هو تلاعب الجن..؟!.. لا ندرى شيئاً. ولكن الشئ المؤكد أن السحر حقيقة، وعلاجه القرآن الكريم.

(١) المصدر السابق جـ ٩/ ١٧٩.

من عجائب البحار



روى ابن كثير فى وقائع سنة ٩٧ هـ عن ابن عساكر قال: إن عمر بن عبد العزيز سأل موسى بن نصير - حين قَدِم دمشق أيام الوليد - عن أعجب شئ رأيت فى البحر، فقال: انتهينا مرة إلى جزيرة فيها ست عشرة جَرّةً مختومة بخاتم سليمان بن داود عليهما السلام، قال: فأمرت بأربعة منها فأُخرِجَت، وأمرت بواحدة منها فنقبت فإذا قد خرج منها شيطان ينفض رأسه الأرض ويقول، والذى أكرمكَ بالنبوة لا أعود بعدها أُفسد فى الأرض، قال: ثم إن ذلك الشيطان نظر فقال: إنى لا أرى بهاء سليمان وملكه، فانساخ فى الأرض فذهب، قال: فأمرت بالثلاث البواقى فرددن إلى مكانهن.(١)

* * *

قلت: السينما عندنا تنظر إلى هذا الشيطان على أنه جحود، ثقيل الظل.. أما جحوده لأنه لم يشكر من أخرجوه وينفذ لهم طلباتهم ويقول لهم كالمعهود: «شبيك لبيك» وأما ثقل ظله لأنه مضى بلا سلام ولا كلام، ولم يقم بتسلية الحاضرين. ولا أدرى إلى متى تستخف السينما بعقول الناس بحجة التسلية والترفيه؟!!

---

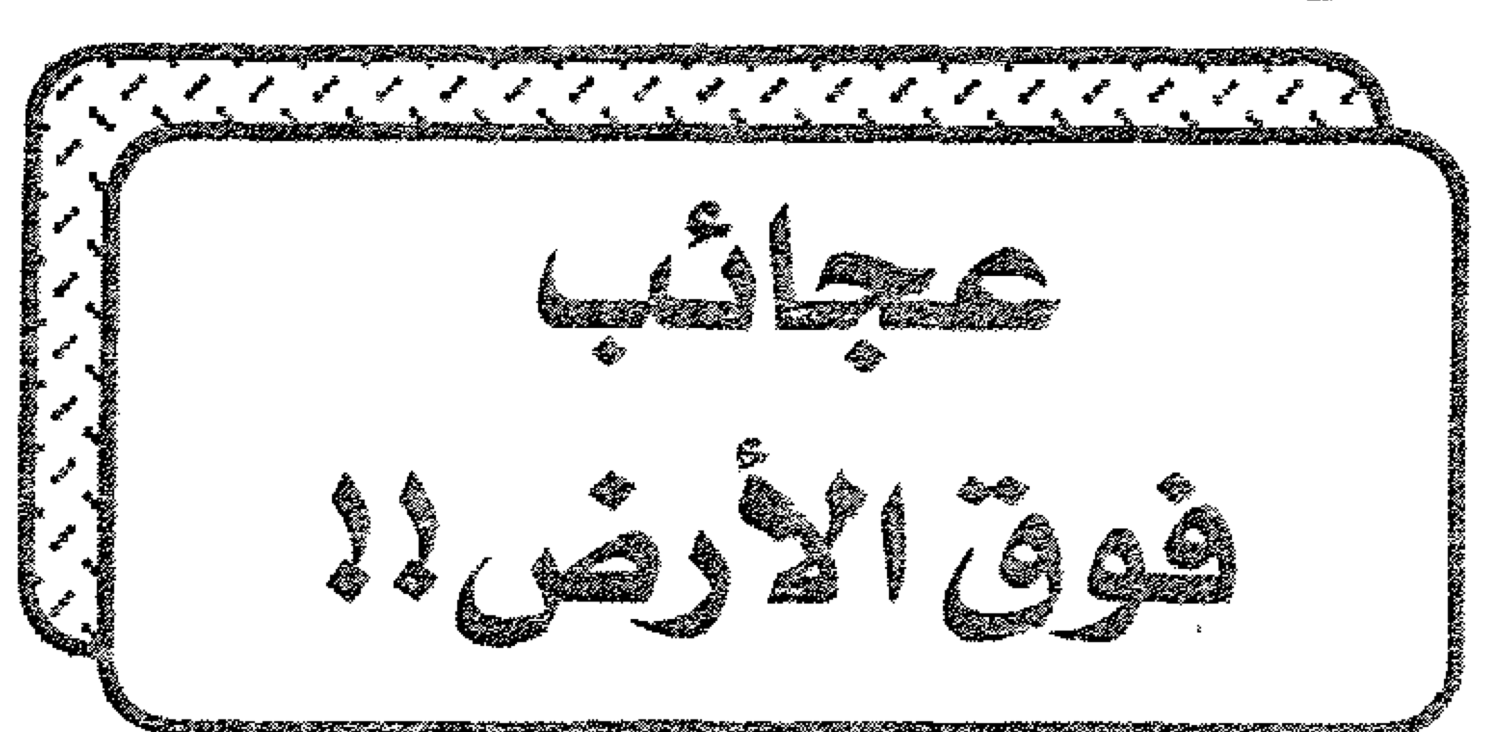
(١) المصدر السابق جـ ٩/ ١٩٥.



باحث فى العجائب

ذكر ابن كثير فى أحداث ١٠٣ هـ عن ابن منده قال: ذكر محمد بن حميد: حدثنا عبد الله بن عبد القدوس عن الأعمش قال: كان مجاهد لا يسمع بأعجوبة إلا ذهب فنظر إليها، قال: وذهب إلى حضرموت إلى بئر برهوت قال: وذهب إلى بابل، قال: وعليها والٍ صديق لمجاهد: فقال مجاهد: تعرض عليَّ هاروت وماروت، قال: فدعا رجلاً من السحرة فقال: اذهب بهذا فاعرض عليه هاروت وماروت.

فقال اليهودى: بشرط أن لا تدعو الله عندهما، قال مجاهد: فذهب بى إلى قلعة فقطع منها حجراً ثم قال: خذ برجلى، فهوى بى حتى انتهى إلى حَوْبَةَ (أى أرض سوء كما فىَ اللسان)، فإذا هما معلقين منكسين كالجبلين العظيمين، فلما رأيتهما قلت: سبحان الله خالقكما، قال: فاضطربا فكأن جبال الدنيا قد تدكدكت، قال: فغشى عليَّ وعلى اليهودى، ثم أفاق اليهودى قبلى، فقال: قم! كدتَ أن تهلك نفسك وتهلكنى.(١)



عجائب فوق الأرض!!

طلاسم فى مسجد دمشق

من وقائع سنة ٩٦ هـ: روى ابن كثير عن عبد العزيز التميمى عن أبى نصر عبد الوهاب بن عبد الله المرى قال: سمعنا جماعة من شيوخ أهل دمشق يقولون: إن فى سقف الجامع طلاسم عملها الحكماء فى السقف مما يلى الحائط القبلى،

(١) المصدر السابق جـ ٩/ ٢٥٢.



فيها طلاسم للصنونيات (الحشرات المستقذرة)، لا تدخله ولا تعشش فيه من جهة الأوساخ التى تكون منها، ولا يدخله الغراب، وطلسم للفأر والحيات والعقارب، فما رأى الناس شيئاً من هذا إلا الفأر، ويشك أن يكون قد عدم طلسمها، وطلسم للعنكبوت حتى لا ينسج فيه.

... قال الحافظ ابن عساكر: وسمعت جدى أبا الفضل يحيى بن على يذكر أنه أدرك فى الجامع قبل حريقه طلسمات لسائر الحشرات، معلقة فى السقف فوق البطائن مما يلى السبع، وأنه لم يكن يوجد فى الجامع شئ من الحشرات قبل الحريق. فلما احترقت الطلسمات حين أُحْرِق الجامع ليلة النصف من شعبان بعد العصر سنة ٤٦١ هـ وقد كانت بدمشق طلسمات كثيرة، ولم يبق منها سوى العمود الذى بسوق العلبيين الذى فى أعلاه مثل الكرة العظيمة، وهى لعسر بول الدواب، إذا داروا بالدابة حوله ثلاث مرات انطلق باطنها. وقد كان شيخنا ابن تيمية رحمه الله يقول: إنما هذا قبر مشرك مفرد مدفون هنالك يُعَذّب، فإذا سمعتْ الدابة صراخه فزعتْ فانطلق باطنها وطبعها، قال: ولهذا يذهبون بالدواب إلى مقابر اليهود والنصارى إذا مغلت فتنطلق طباعها وتروث، وما ذاك إلا لأنها تسمع أصواتهم وهم يعذبون. والله أعلم.[1] (ومعنى مَغَلَتْ: وجع بطنها من أكل التراب. اللسان)

فتأمل فى حسن استنباط شيخ الإسلام ابن تيمية.. إنه بتفسيره هذا عصم الناس من الاعتقاد فى حجر لا ينفع ولا يضر..

وقد كان ـ رحمه الله ـ مصححاً لعقيدة الناس، حرباً على أهل البدع.. ولذلك يبغضونه حتى فى عصرنا جزاه الله خيراً.

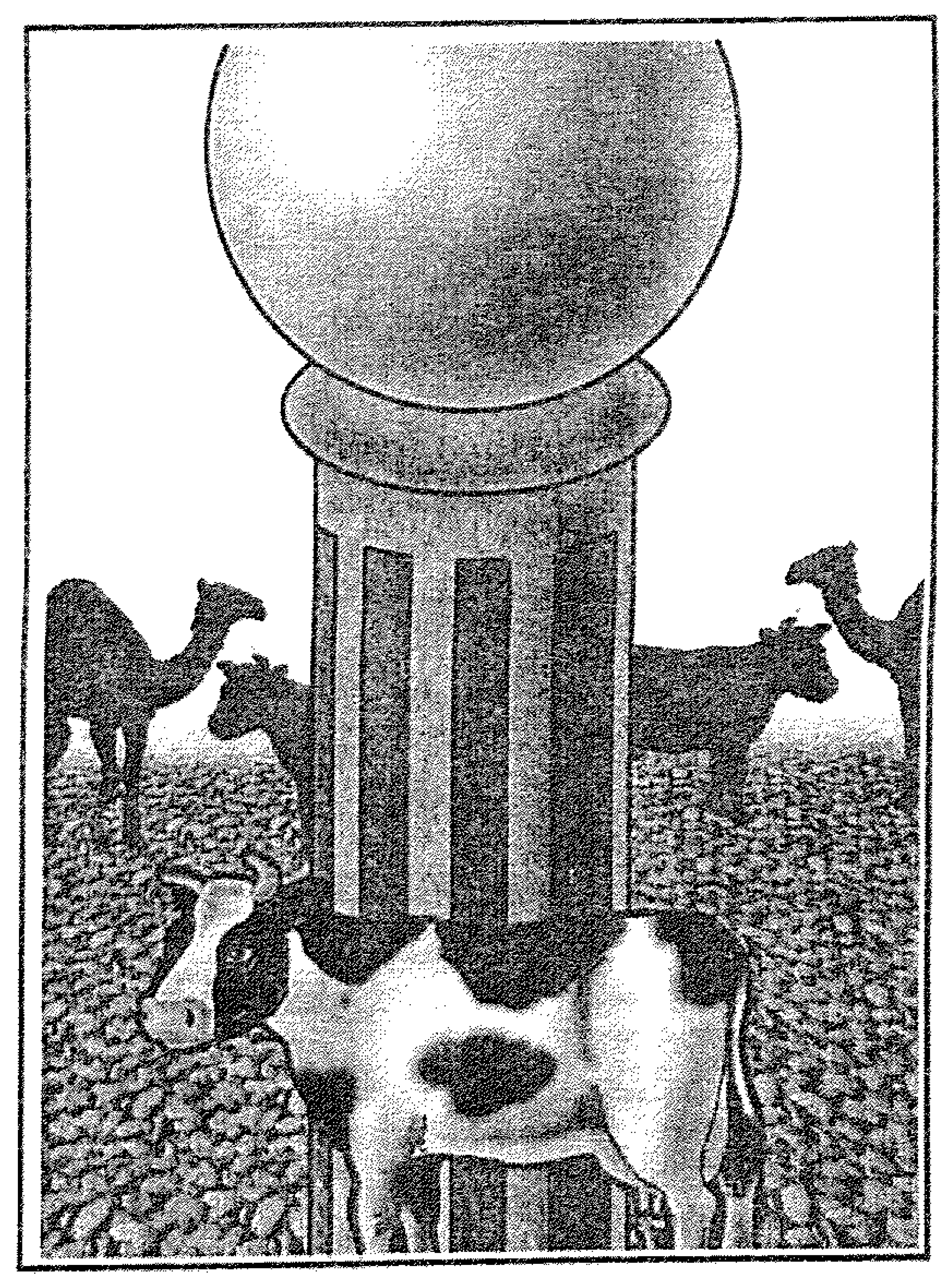
---

(١) المصدر السابق جـ ٩/ ١٧٩.



عجائب المدن والقرى والأبنية!!

مدينة النحاس



من وقائع سنة ٩٧ هـ روى لنا ابن كثير عن هذه المدينة العجيبة فقال: وقد ذكر السمعانى وغيره عنه أنه سار إلى مدينة النحاس التى بقرب البحر المحيط الأخضر، فى أقصى بلاد المغرب، وأنهم لما أشرفوا عليها رأوا بريق شرفاتها وحيطانها من مسافة بعيدة، وأنهم لما أتوها نزلوا عندها، ثم أرسل رجلاً من أصحابه ومعه مائة فارس من الأبطال، وأمره أن يدور حول سورها لينظر هل لها باب أو منفذ إلى داخلها، فقيل: إنه سار يوماً وليلة حول سورها، ثم رجع إليه فأخبره أنه لم يجد باباً ولا منفذاً إلى داخلها، فأمرهم فجمعوا ما معهم من المتاع بعضه على بعض، فلم يبلغوا أعلى سورها، فأمر فعمل سلالم فصعدوا عليها، وقيل إنه أمر رجلاً فصعد على سورها، فلما رأى ما فى داخلها لم يملك نفسه أن ألقاها فى داخلها فكان آخر العهد به، ثم آخر فكذلك، ثم امتنع الناس من

الصعود إليها، فلم يحط أحد منهم بما فى داخلها علماً، ثم ساروا عنها فقطعوها إلى بحيرة قريبة منها، فقيل: ... ووجدوا عليها رجلاً قائماً، فقال له: ما أنت؟

قال: رجل من الجن وأبى محبوس فى هذه البحيرة حبسه سليمان (عليه السلام)، فأنا أجئ إليه فى كل سنة مرة أزوره. فقال له: هل رأيت أحداً خارجاً من هذه المدينة أو داخلاً إليها؟ قال: لا، إلا أن رجلاً يأتى فى كل سنة إلى هذه البحيرة يتعبد عليها أياماً ثم يذهب فلا يعود إلى مثلها، والله أعلم ما هو. ثم رجع إلى إفريقية.
والله أعلم بصحة ذلك، والعُهْدَة على من ذكر ذلك أولاً.(١)

(١) المصدر االسابق جـ ٩/ ١٩٥.





سد ذو القرنين

ذكر ابن كثير فى وقائع سنة ٢٢ هـ عن ابن جرير بسنده أن شهربراز قال لعبد الرحمن بن ربيعة لما قَدِمَ عليه حين وصل إلى الباب وأراه رجلاً فقال شهربراز: أيها الأمير إن هذا الرجل كنت بعثته نحو السد، وزودته مالاً جزيلاً وكتبت له إلى الملوك الذين يولونى، وبعثت لهم هدايا، وسألت منهم أن يكتبوا له إلى مَنْ يليهم من الملوك حتى ينتهى إلى سد ذى القرنين، فينظر إليه ويأتينا بخبره. فسار حتى انتهى إلى الملك الذى السد فى أرضه، فبعثه إلى عامله مما يلى السد، فبعث معه بازياره ومعه عقابه، فلما انتهوا إلى السد إذا جبلان بينهما سد مسدود، حتى ارتفع على الجبلين، وإذا دون السد خندق أشد سواداً من الليل لِبُعْدِهِ، فنظر إلى ذلك كله وتفرس فيه، ثم لما هَمَّ بالانصراف قال له البازيار: على رسلك، ثم شرح بضيعة لحم معه فألقاها فى ذلك الهواء، وانقض عليها العُقَاب. فقال: إن أدركتها قبل أن تقع فلا شئ وإن لم تدركها حتى تقع فذلك شئ. قال: فلم تدركها حتى وقعت فى أسفله واتبعها العقاب فأخرجها فإذا فيها ياقوتة وهى هذه. ثم ناولها الملك شهربراز لعبد الرحمن بن ربيعة، فنظر إليها عبد الرحمن ثم ردها إليه، فلما ردها إليه فرح وقال: والله لهذه خير من مملكة هذه المدينة - يعنى مدينة باب الأبواب التى هو فيها - ووالله لأنتم أحب إلىّ اليوم من مملكة آل كسرى، ولو كنت فى سلطانهم وبلغهم خبرها لانتزعوها منى. وايم الله لا يقوم لكمَ شئ ما وفيتم ووفى ملككم الأكبر. ثم أقبل عبد الرحمن بن ربيعة على الرسول الذى ذهب إلى السد فقال: ما حال هذا الردم؟ - يعنى ما صفته - فأشار إلى ثوب فى زرقة وحمرة فقال: مثل هذا. فقال رجل لعبد الرحمن: صدق والله لقد نفذ ورأى. فقال: أجل وصف صفة الحديد والصفر قال تعالى: ﴿آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّىٰ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انفُخُوا حَتَّىٰ إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ آتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا﴾ (*سورة الكهف: ٩٧*)(١)...

---

(١) المصدر السابق جـ ٩/ ١٤٠.



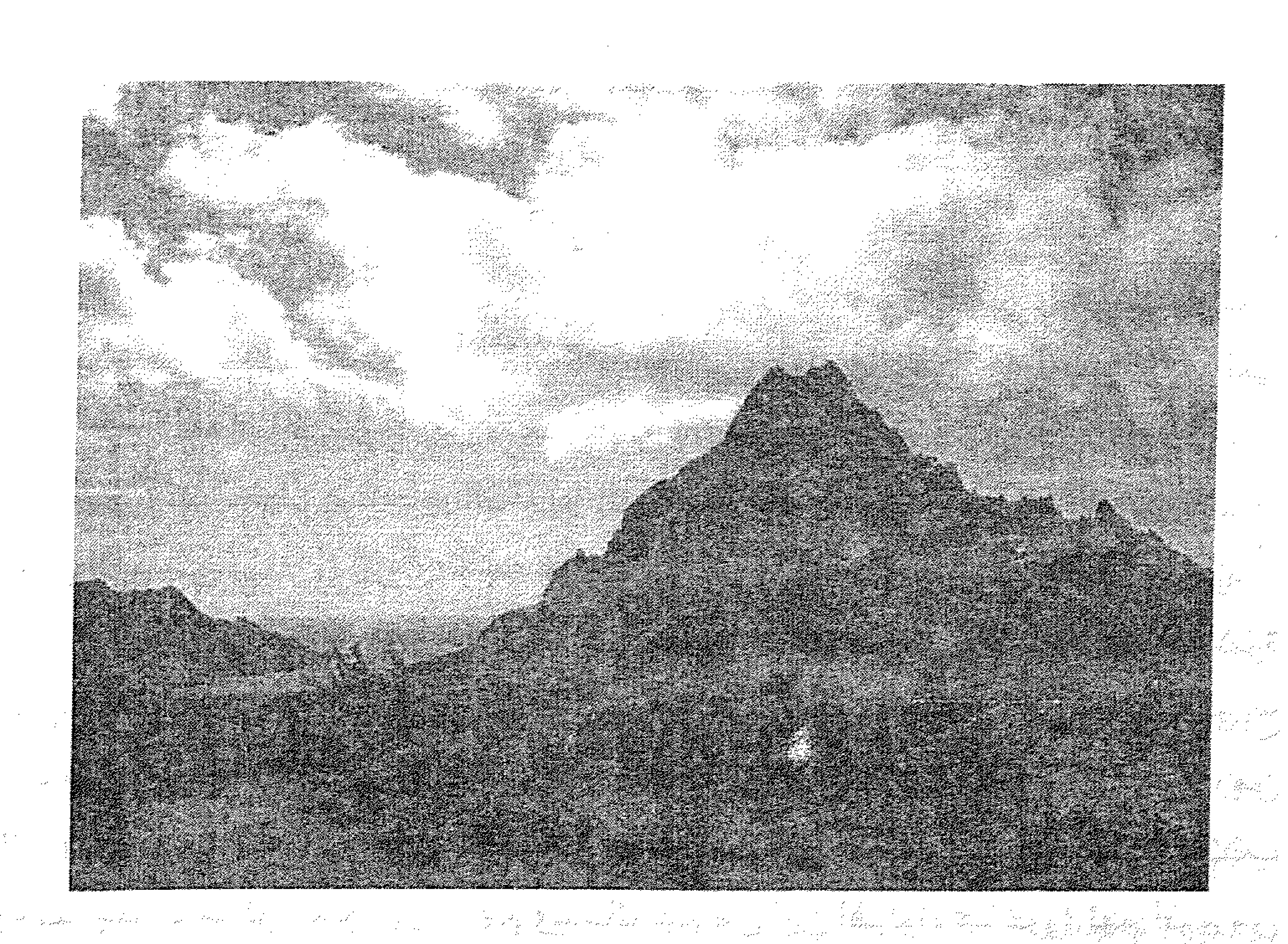
حاول بعض علماء العصر - بما لديهم من أجهزة الكشف والرصد المتقدمة - أن يشككوا فى وجود سد على مدينة يأجوج ومأجوج. وقالوا: إذا كان لهم وجود فأين هم؟. قلت: ولاختفائهم عن أجهزة الرصد حكمة يعلمها الله، ولكننا نوقن بما ورد فى القرآن، وما أخبرنا به رسولنا محمد ﷺ حتى ولو لم نره.. وقد مدح الله المؤمنين الذين يؤمنون بالغيب.. وكم من الأشياء نؤمن بها ولا نراها.. وإذا كانوا قد شككوا فى وجود السد فقد شككوا أيضاً فى عذاب القبر وأنكروه بعد أن وضعوا أجهزتهم فى القبر مع ميت.. وقد فات عليهم - بجهلهم - أن أمور الآخرة غيب لا تكشفه الأجهزة، ولكنهم لا يؤمنون إلا بما يرون شأن الماديين.. وكلٌّ يعمل على شاكلته.. والقيامة يوم المفاجآت وظهور الحقائق ويومئذ يفرح المؤمنون ويندم المبطلون!!

بلاد يأجوج ومأجوج

من وقائع سنة ٢٢ هـ: روى ابن كثير فقال: أورد شيخنا أبو عبد الله الذهبى الحافظ فى هذه السنة ما ذكره صاحب كتاب مسالك الممالك عما أملاه سلام الترجمان، حين بعثه الواثق بأمر الله بن المعتصم - وكان قد رأى فى النوم كأن السد قد فتح - فأرسل سلاماً هذا وكتب له إلى الملوك بالوصاة به، وبعث معه ألفى بغل تحمل طعاماً فساروا بين سامرا إلى إسحق بتفليس، فكتب لهم إلى صاحب السرير، وكتب لهم صاحب السرير إلى ملك اللان، فكتب لهم إلى قبلان شاه، فكتب لهم إلى ملك الخزر، فوجه معه خمسة أولاد فساروا ستة وعشرين يوماً. حتى انتهوا إلى أرض سوداء منتنة حتى جعلوا يشمون الخل، فساروا فيها عشرة أيام، فانتهوا إلى مدائن خراب مدة سبعة وعشرين يوماً، وهى التى كانت يأجوج ومأجوج تطرقها فخربت من ذلك الحين، وإلى الآن، ثم انتهوا إلى حصن قريب من السد فوجدوا قوماً يعرفون بالعربية وبالفارسية ويحفظون القرآن، ولهم مكاتب ومساجد، فجعلوا يعجبون منهم ويسألونهم من أين أقبلوا، فذكروا لهم أنهم من جهة أمير المؤمنين الواثق فلم يعرفوه بالكلية. ثم انتهوا إلى جبل أملس ليس عليه



خضراً وإذا السد هنالك من لبن حديد مغيب فى نحاس، وهو مرتفع جداً لا يكاد البصر ينتهى إليه، وله شرفات من حديد، وفى وسطه باب عظيم بمصراعين مغلقين، عرضهما مائة ذراع، فى طول مائة ذراع، فى ثخانة خمسة أذرع، وعليه قفل طوله سبعة أذرع فى غلظ باع - وذكر أشياء كثيرة - وعند ذلك المكان حرس يضربون عند القفل فى كل يوم فيسمعون بعد ذلك صوتاً عظيماً مزعجاً، ويقال: أن وراء هذا الباب حرس وحفظة، وقريب من هذا الباب حصنان عظيمان بينهما عين ماء عذبة، وفى إحداهما بقايا العمارة من مغارف ولبن من حديد وغير ذلك، وإذا طول اللبنة ذراع ونصف فى مثله، فى سُمْك شبر. وذكروا أنهم سألوا أهل تلك البلاد هل رأوا أحداً من يأجوج ومأجوج فأخبروهم أنهم رأوا منهم يوماً أشخاصاً فوق الشرفات فهبت الريح فألقتهم إليهم، فإذا طول الرجل منهم شبر أو نصف شبر. والله أعلم.(1)



(1) البداية والنهاية جـ ٧/ ١٤١. وأنظر عجيبة جـ ١١/ ١٨٨، ١٨٩.





عجائب المجاعات وأكل الرجل أبناءه!!!

● من وقائع سنة ٢٨١ هـ: قال ابن كثير: وفيها تكامل غور المياه ببلاد الرى وطبرستان.

وفيها غلت الأسعار جداً وجَهد الناس حتى أكل بعضهم بعضاً، فكان الرجل يأكل ابنه وابنته فإنا لله وإنا إليه راجعون.(١)

الغلاء والفناء!!

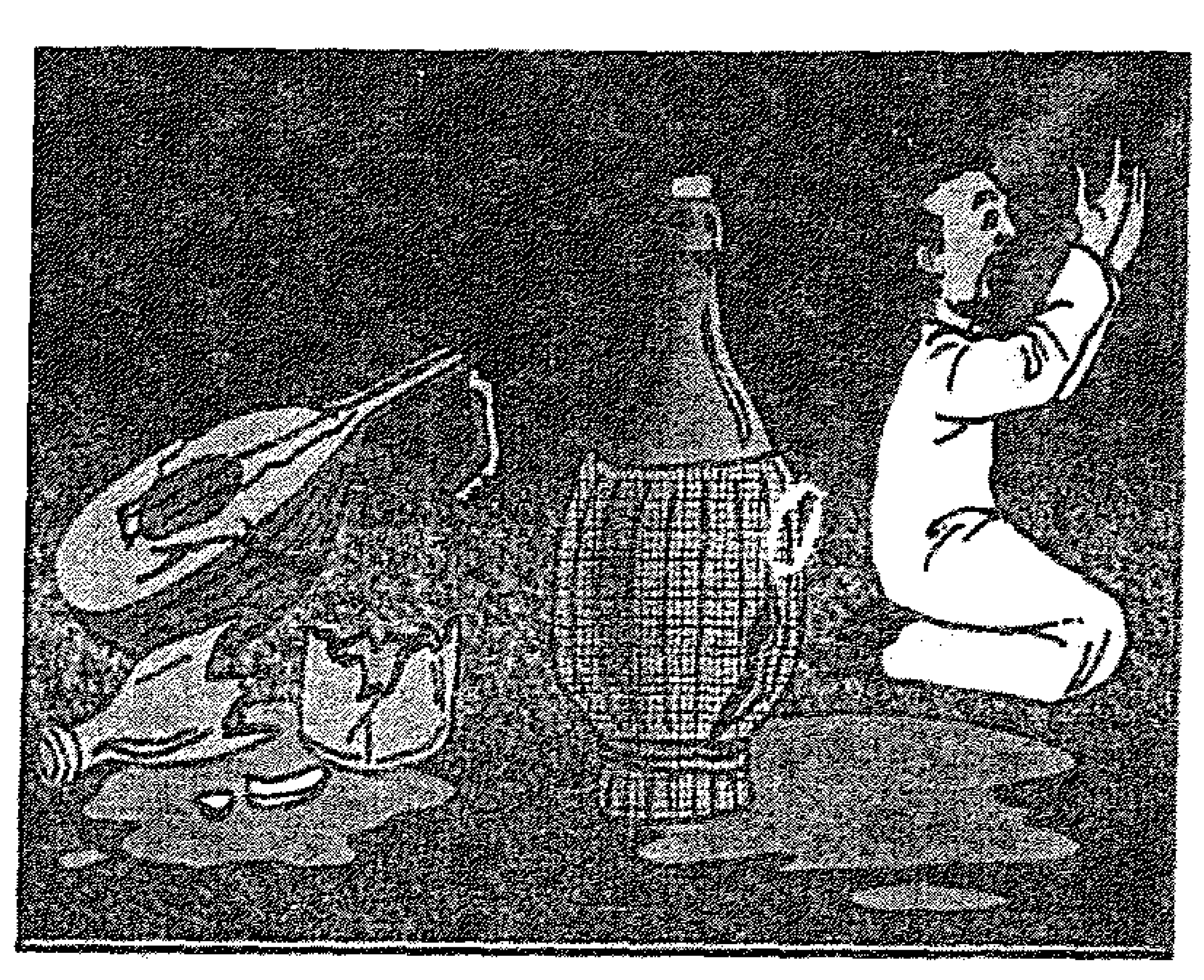
● من وقائع سنة ٣٣٤ هـ: حكى ابن كثير فقال: وفى هذه السنة وقع غلاء شديد ببغداد حتى أكلوا الميّتة والسنانير والكلاب، وكان من الناس مَن يسرق الأولاد فيشويهم ويأكلهم، وكثر الوباء فى الناس حتى كان لا يدفن أحد أحداً، بل يتركون على الطرقات فيأكل كثيراً منهم الكلاب، وبيعت الدور والعقار بالخبز، وانتجع الناس إلى البصرة فكان منهم مَن مات فى الطريق ومنهم مَن وصل إليها بعد مدة مديدة.(٢)

---

(١) نفس المصدر جـ ١١/ ٨١.

(٢) المصدر السابق جـ ١١/ ٢٤١.

الطـاعـون



● من وقائع سنة ٤٤٩ هـ: حكى ابن كثير فقال: فيها كان الغلاء والفناء مستمرين ببغداد وغيرها من البلاد، بحيث خلت أكثر الدور وسدت على أهلها أبوابها بما فيها، وأهلها موتى فيها، ثم صار المار فى الطريق لا يلقى الواحد بعد الواحد وأكل الناس الجيف والنتن من قلة الطعام، ووجد مع امرأة فخذ كلب قد اخضر وشوى رجل صبية فى الأتون وأكلها، فقيل وسقط طائر ميت من حائط فاحتوشته خمسة أنفس فاقتسموه وأكلوه، وورد كتاب من بخارى أنه مات فى يوم واحد منها ومن معاملتها ثمانية عشر ألف إنسان، وأحصى مَن مات فى هذا الوباء من تلك البلاد إلى يوم كتب فيه هذا الكتاب بألف ألف، وخمسمائة ألف وخمسين ألف إنسان، والناس يمرون فى هذه البلاد فلا يرون إلا أسواقاً فارغة وطرقات خالية، وأبواباً مغلقة، ووحشة وعدم أنس. حكاه ابن الجوزى. قال: وجاء الخبر من أذربيجان وتلك البلاد بالوباء العظيم، وأنه لم يسلم من تلك البلاد إلا العدد اليسير جداً. قال: ووقع وباء بالأهواز وبواط وأعمالها وغيرها، حتى طبق البلاد، وكان أكثر سبب ذلك الجوع، كان الفقراء يشوون الكلاب وينبشون القبور ويشوون الموتى ويأكلونهم، وليس للناس شغل فى الليل والنهار إلا غسل الأموات وتجهيزهم ودفنهم، فكان يحفر الحفير فيدفن فيه العشرون والثلاثون، وكان الإنسان بينما هو جالس إذ انشق قلبه عن دم المهجة، فيخرج منه إلى الفم قطرة فيموت الإنسان من وقته، وتاب الناس وتصدقوا بأكثر أموالهم فلم يجدوا أحداً يقبل منهم، وكان الفقير تعرض عليه الدنانير الكثيرة والدراهم والثياب فيقول: أنا أريد كسرة أريد ما يسد جوعى، فلا يجد ذلك،



وأراق الناس الخمور وكسروا آلات اللهو، ولزموا المساجد للعبادة وقراءة القرآن، وقل دار يكون فيها خمر إلا مات أهلها كلهم، ودخل على مريض له سبعة أيام فى النزع فأشار بيده إلى مكان فوجدوا فيه خابية من خمر فأراقوها فمات من وقته بسهولة، ومات رجل فى مسجد فوجدوا معه خمسين ألف درهم، فعرضت على الناس فلم يقبلها أحد فتركت فى المسجد تسعة ايام لا يريدها احد فلما كان بعد ذلك دخل أربعة ليأخذوها فماتوا عليها، فلم يخرج من المسجد منهم أحد حى، بل ماتوا جميعاً. وكان الشيخ أبو محمد عبد الجبار بن محمد يشتغل عليه سبعمائة متفقه، فمات وماتوا كلهم إلا اثنى عشر نفراً منهم، ولما اصطلح السلطان ربيس بن على رجع إلى بلاده فوجدها خراباً لقلة أهلها من الطاعون، فأرسل رسولاً منهم إلى بعض النواحى فتلقاه طائفة فقتلوه وشووه وأكلوه.(١)

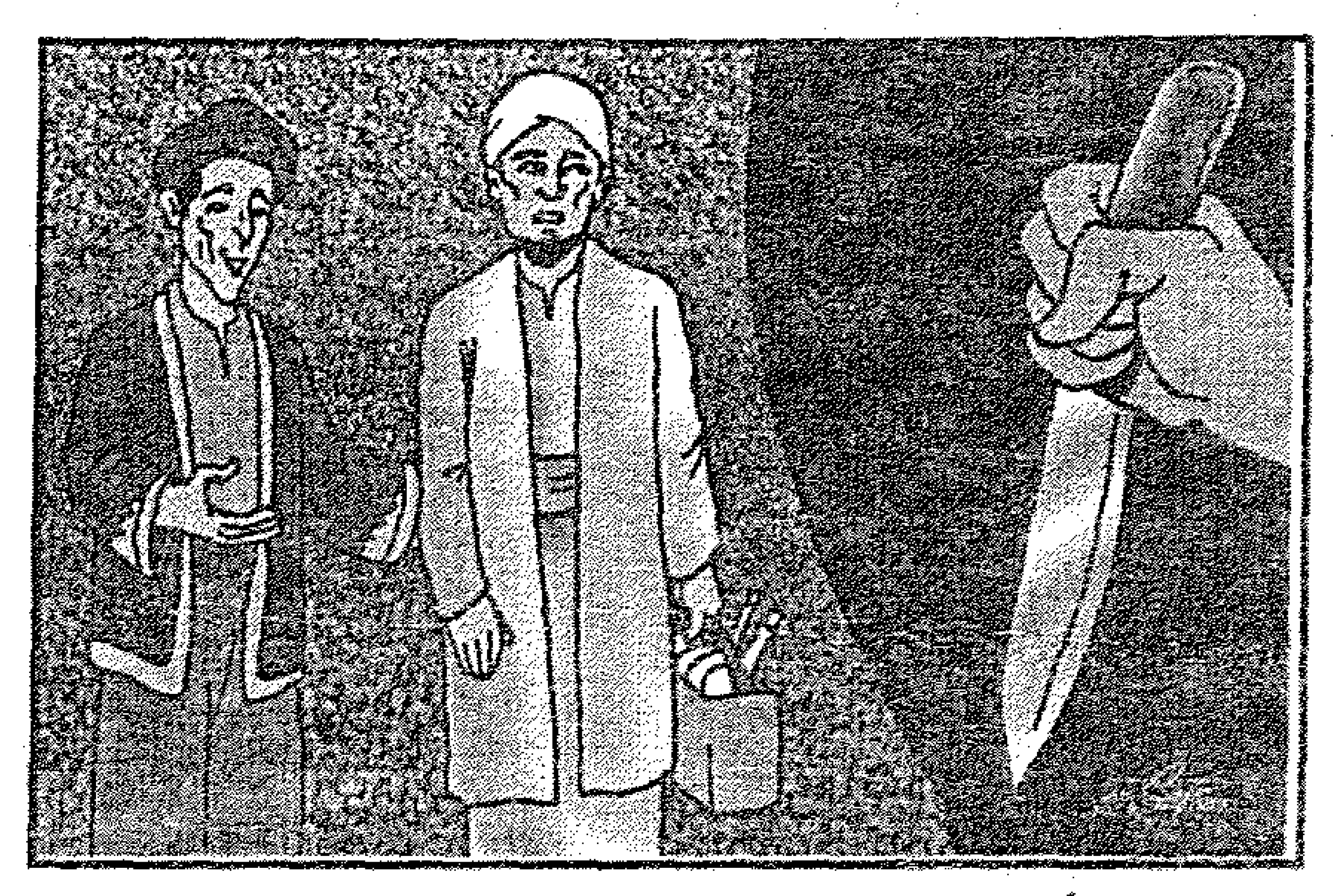
الدفن ليلاً

من وقائع سنة ٤٦٢ هـ: قال ابن كثير: وفيها ضاقت النفقة على أمير مكة فأخذ الذهب من أستار الكعبة والميزاب وباب الكعبة، فضرب ذلك دراهم ودنانير، وكذا فعل صاحب المدينة بالقناديل التى فى المسجد النبوى. وفيها كان غلاء شديد بمصر فأكلوا الجيف والميتات والكلاب، فكان يباع الكلب بخمسة دنانير، وماتت الفيلة فأكلت ميتاتها، وأفنيت الدواب فلم يبق لصاحب مصر سوى ثلاثة أفراس، بعد أن كان له العدد الكثير من الخيل والدواب، ونزل الوزير يوماً عن بغلته فغفل الغلام عنها لضعفه من الجوع فأخذها ثلاثة نفر فذبحوها وأكلوها فأُخِذوا فصُلِبوا فما أصبحوا إلا وعظامهم بادية، قد أخذ الناس لحومهم فأكلوها، وظُهر على رجل يقتل الصبيان والنساء ويدفن رؤوسهم وأطرافهم، ويبيع لحومهم، فقُتِل وأُكل لحمه. وكانت الأعراب يقدمون بالطعام يبيعونه فى ظاهر البلد، لا يتجاسرون يدخلون لئلا يُخْطَف ويُنهب منهم، وكان لا يجسر أحد أن يدفن ميته نهاراً، وإنما يدفنه ليلاً خفية، لئلا ينبش فيؤكل...(٢)

(١) المصدر السابق جـ ١٢/ ٨٦.

(٢) المصدر السابق جـ ١٢/ ١٢١.

الضرورات تبيح الأولاد



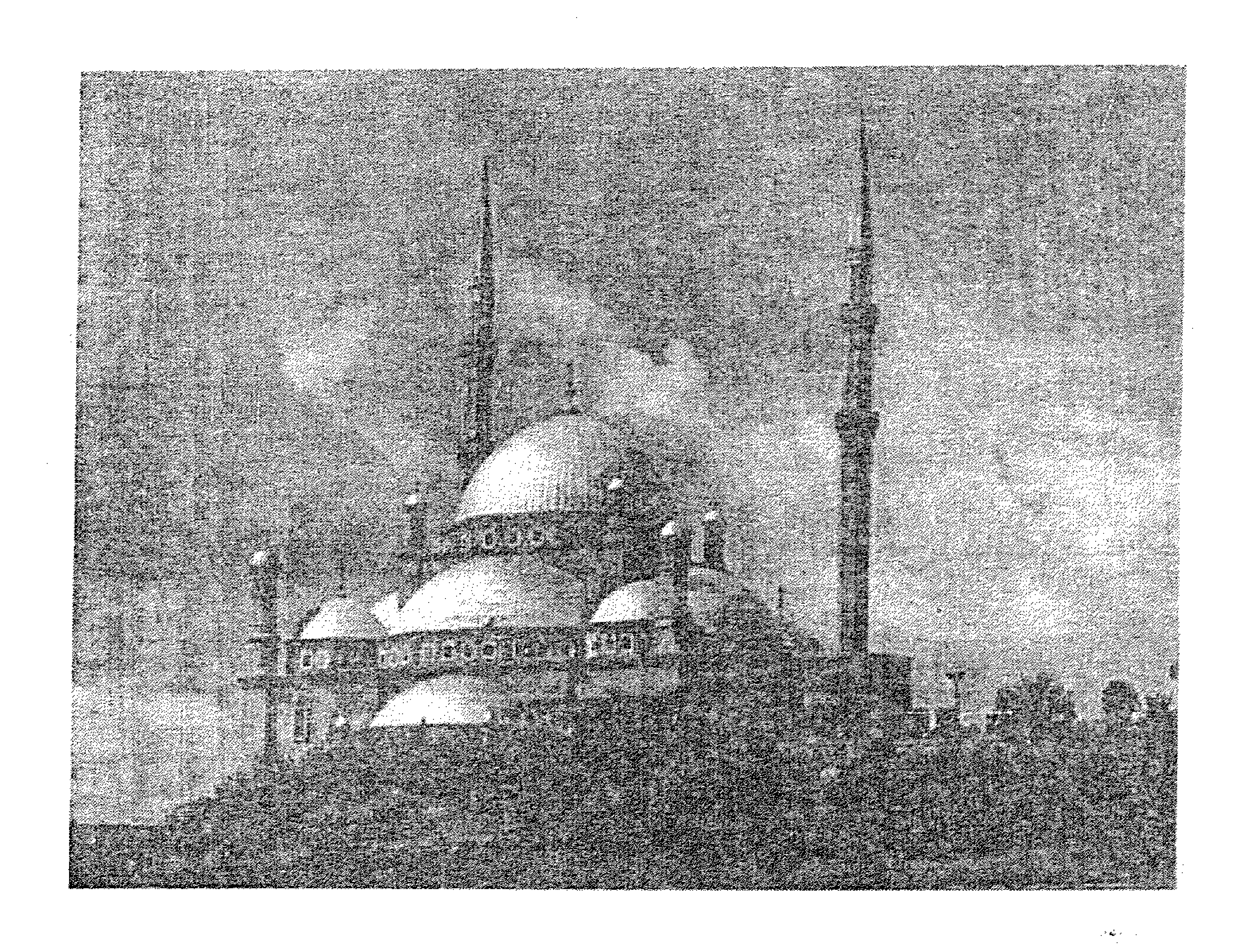
من وقائع سنة ٥٩٧ هـ حكى ابن كثير عن فظائع الغلاء فقال: فيها اشتد الغلاء بأرض مصر جداً، فهلك خلق كثير جداً من الفقراء والأغنياء، ثم أعقبه فناء عظيم، حتى حكى الشيخ أبو شامة فى الذيل: أن العادل كفن من ماله فى مدة شهر من هذه السنة نحواً من مائتى ألف، وعشرين ألف ميت، وُأكلت الكلاب والميتات فيها بمصر، وأُكِل من الصغار والأطفال خلق كثير، يَشْوى الصغير والداه ويأكلانه، وكثر هذا فى الناس جداً حتى صار لا يُنكَر بينهم، فلمّا فرغت الأطفال والميتات غَلَب القوى الضعيف فذبحه وأكله، وكان الرجل يحتال على الفقير فيأتى به ليطعمه أو ليعطيه شيئاً، ثم يذبحه ويأكله، وكان أحدهم يذبح امرأته ويأكلها وشاع هذا بينهم بلا إنكار ولا شكوى، بل يعذر بعضهم بعضاً، ووجد عند بعضهم أربعمائة رأس وهلك كثير من الأطباء الذين يُستَدعون إلى المرضى، فكانوا يُذبَحون ويُؤكَلون، كان الرجل يستدعى الطبيب ثم يذبحه ويأكله، وقد استدعى رجل طبيباً حاذقاً وكان الرجل موسراً من أهل المال، فذهب الطبيب معه على وَجَل وخوفٍ، فجعل الرجل يتصدق على مَن لقِيَه فى الطريق ويذكر الله ويسبحه، ويكثّر من ذلك، فارتاب به الطبيب وتخيل منه، ومع هذا حمله الطمع على الاستمرار معه حتى دخل داره، فإذا هى خربة فارتاب الطبيب أيضاً فخرج صاحبه فقال له: ومع هذا البطء جئت لنا بصيد، فلما سمعها الطبيب هرب فخرجا خلفه سراعاً فما خلص إلا بعد جهد وشر.(١)

قلت: هذا من أشد العجائب.. أن يأكل الآباء والأمهات أولادهم الصغار..

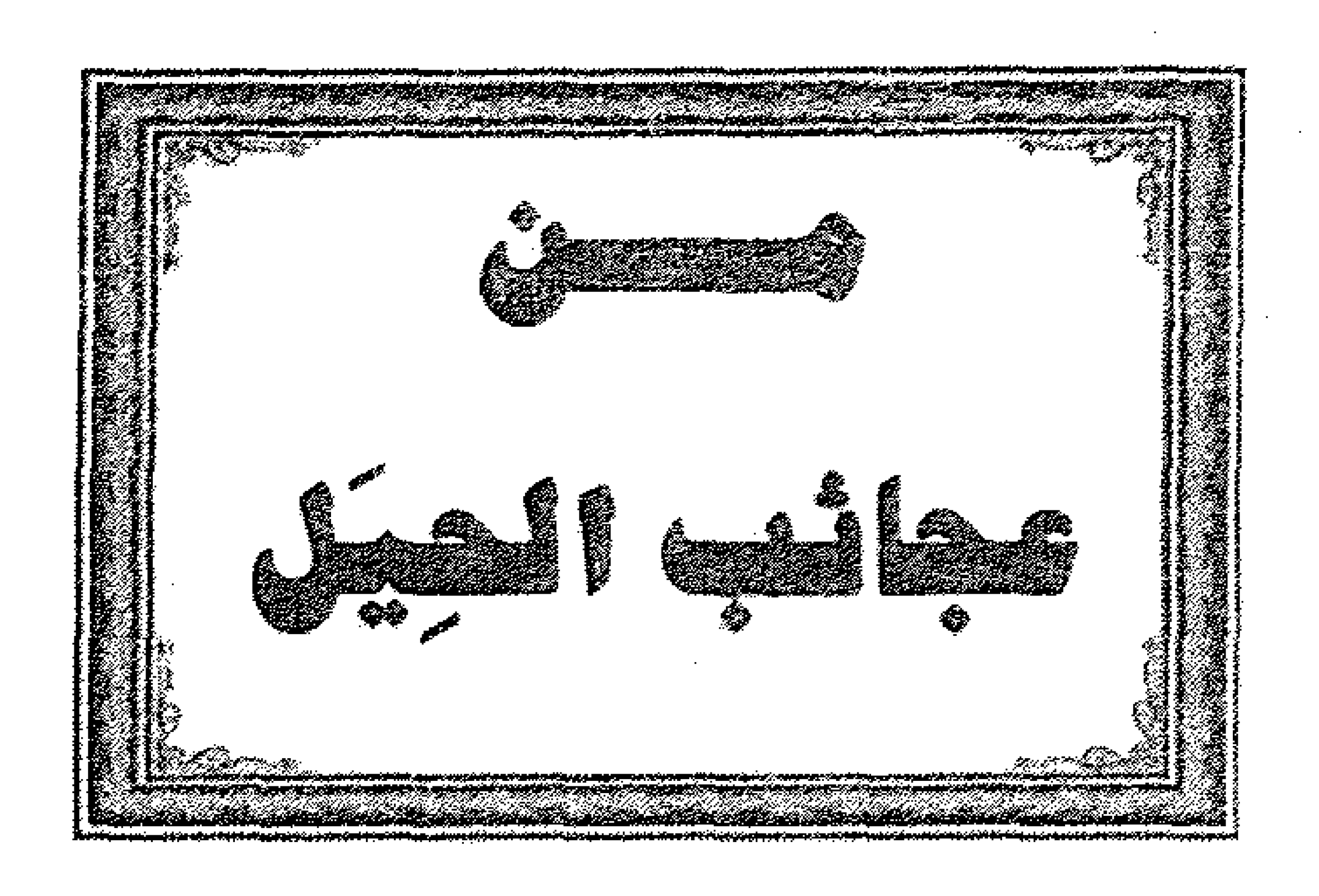
(١) المصدر السابق جـ ١٣/ ٣٢.



إلى هذه الدرجة.. لم نسمع بهذا من قبل، وأخشى أن يكون هذا من المبالغات.. ولكن الإمام ابن كثير أمين على التاريخ.. فالله أعلم بالحقيقة.. ويهمنا أن نلتفت إلى واقعنا ونحمد الله حمداً كثيراً، فالسائل فى أيامنا لا يبيت بغير عَشَاء، ورغم أن البعض يشتكى العوز.. لكن لم يصل حاله إلى ما رأيناه فى هذه المجاعات الرهيبة، فهلا رضينا بحالنا.. وأدركنا الفرق بين الحالين. أسأل الله ألا يحملنا فوق ما نطيق.







حيلة الفاروق رضي الله عنه

من وقائع سنة ١٢ هـ: روى ابن كثير فقال: وفيها تزوج عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) عاتكة بنت زيد بن عمرو بن نفيل، وهى ابنة عمه، وكان لها محباً وبها معجباً، وكان لا يمنعها من الخروج إلى الصلاة ويكره خروجها، فجلس لها ذات ليلة فى الطريق فى ظلمة فلما مرت ضرب بيده على عجزها، فرجعت إلى منزلها ولم تخرج بعد ذلك.(١)

(وفى رواية قرأتها: أن عمر رضي الله عنه سألها: لم لا تخرجين؟ قالت: كنت أخرج والناس ناس، فلما حدث ما حدث فلا)

حيلة عمرو بن العاص رضي الله عنه

فى معرض حديث ابن كثير عن وقعة أجنادين من وقائع سنة ١٥ هـ قال: وذلك أن (عمرو بن العاص رضي الله عنه) سار بجيشه وعلى ميمنته ابنه عبد الله بن عمرو، وعلى ميسرته جنادة بن تميم المالكى، من بنى مالك بن كنانة، ومعه شرحبيل بن حسنة، واستخلف على الأردن أبا الأعور السلمى، فلما وصل إلى الرملة وجد عندها جمعاً من الروم عليها الأرطبون، وكان أدهى الروم وأبعدهم

(١) البداية والنهاية جـ ٦/ ٣٨٩.





غوراً، وأنكأها فعلاً، وقد كان وضع بالرملة جنداً عظيماً وبإيلياء جنداً عظيماً، فكتب عمرو إلى عمر بالخبر. فلما جاءه كتاب عمرو قال: قد رمينا أرطبون الروم بأرطبون العرب، فانظروا عما تنفرج. وبعث عمرو بن العاص علقمة بن حكيم الفراسى، ومسروق بن بلال العكى على قتال أهل إيليا. وأبا أيوب المالكى إلى الرملة، وعليها التذارق، فكانوا بإزائهم ليشغلوهم عن عمرو بن العاص وجيشه، وجعل عمرو كلما قدم عليه إمداد من جهة عمر يبعث منهم طائفة إلى هؤلاء وطائفة إلى هؤلاء.

وأقام عمرو على أجنادين لا يقدر من الأرطبون على سقطة ولا تشفيه الرسل فوليَهُ بنفسه، فدخل عليه كأنه رسول، فأبلغه ما يريد وسمع كلامه وتأمل حضرته (وفى تاريخ الطبرى: حصونه. هامش البداية والنهاية). حتى عرف ما أراد، وقال الأرطبون فى نفسه: والله إن هذا لعمرو أو أنه الذى يأخذ عمرو برأيه، وما كنت لأُصيب القوم بأمر هو أعظم من قتله. فدعا حرسياً فسارَّه فأمره بفتكه فقال: اذهب فقم فى مكان كذا وكذا، فإذا مرَّ بك فاقتله، ففطن عمرو بن العاص فقال للأرطبون: أيها الأمير إنى قد سمعتُ كلامك وسمعتَ كلامى، وإنى واحد من عشرة بعثنا عمر بن الخطاب لنكون مع هذا الوالى لنشهد أموره، وقد أحببتُ أن آتيك بهم ليسمعوا كلامك ويروا ما رأيت. فقال الأرطبون: نعم فاذهب فأتنى بهم، ودعا رجلاً فسارَّه فقال: اذهب إلى فلان فردَّه. وقام عمرو فذهب إلى جيشه ثم تحقق الأرطبون أنه عمرو بن العاص، فقال: خدعنى الرجل، هذا والله أدهى العرب



(وفى الطبرى: الخلق. هامش البداية والنهاية). وبلغت عمر بن الخطاب فقال: لله در عمرو.[1]

العبد العاشق

من وقائع سنة ٢٨٤ هـ روى ابن كثير عن ابن الجوزى أنه قال: وفيها كان يتبدّى فى دار الخلافة شخص بيده سيف مسلول فى الليل فإذا أرادوا أخذه انهزم فدخل فى بعض الأماكن والزروع والأشجار والعطفات التى بدار الخلافة فلا يطلع له على خبر، فقلق من ذلك المعتضد قلقاً شديداً وأمر بتجديد سور دار الخلافة والاحتفاظ به، وأمر الحرس من كل جانب بشدة الاحتراس فلم يفد ذلك شيئاً، ثم استدعى المنجمين ومن يعانى علم السحر وأمر المنجمين فعزّموا واجتهدوا فلم يفد ذلك شيئاً فأعياهم أمره، فلما كان بعد مدة اطلع على جلية الأمر وحقيقة الخبر فوجده خادماً خصياً من الخدام كان يتعشق بعض الجوارى من حظايا المعتضد التى لا يصل إليها مثله ولا النظر إليها من بعيد، فاتخذ لحاً مختلفة الألوان يلبس كل ليلة واحدة، واتخذ لباساً مزعجاً فكان يلبس ذلك ويتبدى بالليل فى شكل مزعج فيفزع الجوارى وينزعجن وكذلك الخدم فيثورون إليه من كل جانب فإذا قصدوه دخل فى بعض العطفات ثم يلقى ما عليه أو يجعله فى كمه أو فى مكان قد أعده لذلك ثم يظهر أنه من جملة الخدم المتطلبين لكشف هذا الأمر، ويسأل هذا وهذا ما الخبر؟ والسيف فى يده صفة من يرى أنه قد رهب من هذا الأمر، وإذا اجتمع الحظايا تمكن من النظر إلى تلك المشوقة ولاحظها وأشار إليها بما يريده منها وأشارت إليه، فلم يزل هذا دأبه إلى زمن المقتدر فبعثه فى سرية إلى طرسوس فَنَمَّت عليه تلك الجارية وانكشف أمره وحاله وأهلكه الله.[2]

حقاً (ومن العشق ما قتل).. فقد كانت نهاية العبد على يد الجارية التى عشقها واحتال ليراها ويشير إليها.. والإسلام لا يحارب المحبين.. ولكنه يقنن هذه المشاعر فى ظل شرع الله بما يَجْدَعُ أنف الغيرة، فما لا تقبله على نسائك لا ترضاه لنفسك مع نساء غيرك..

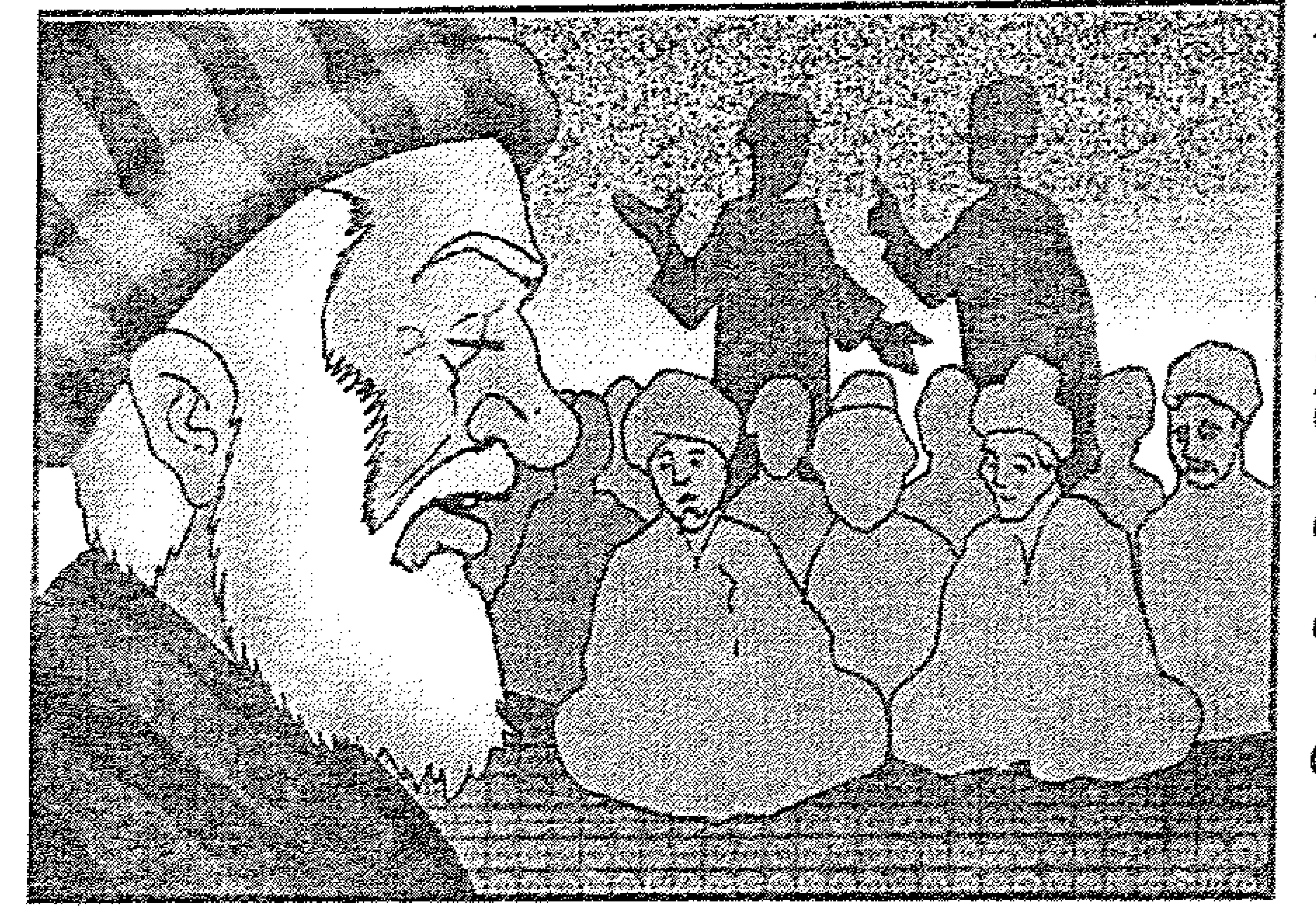
---

(١) المصدر السابق جـ ٧/ ٦٣. (٢) المصدر السابق جـ ١١/ ٨٨.



وأخطر شئ على شبابنا الآن من الجنسين هذه الدوامة من الفن الهابط التى تفرى بينهما.. فيضيع مستقبل الذكور والحب الحقيقى هو الذى ينمو بين الخطيبين أو الزوجين أما ما يقع بين الجنسين على سبيل التجربة قبل الزواج فهذا إن لم يحرمه الإسلام، ما جاز فى منطق الشرفاء.

هكذا تزول النعم



(هذه حالة مثالية لتغيير المنكر بطريقة طيبة..)

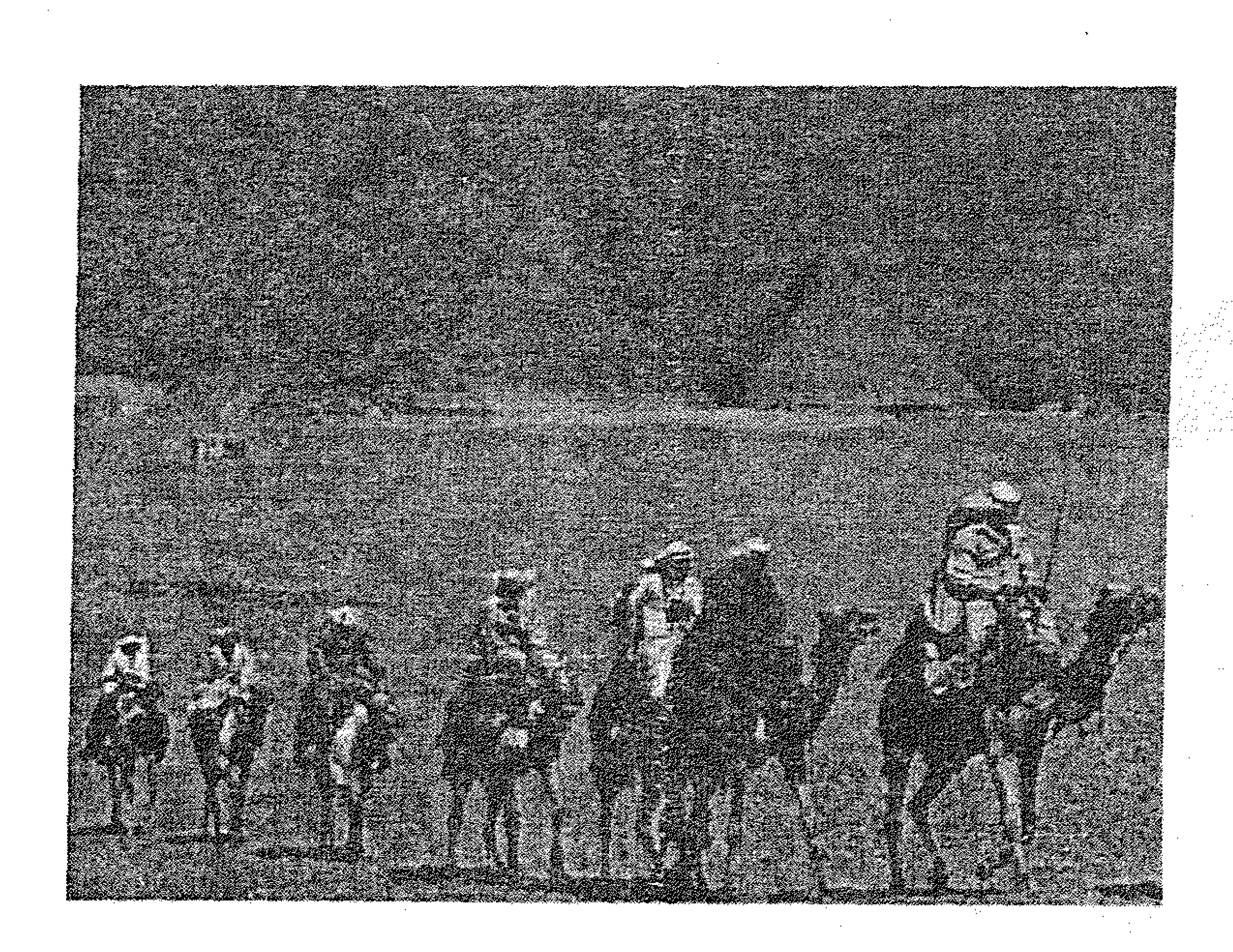
روى لنا ابن كثير فى وقائع سنة ٣٤٨ هـ فقال: حَجَّ (محمد بن جعفر بن محمد بن فضالة بن يزيد بن عبد الملك أبو بكر الأدمى) مرة مع أبى القاسم البغوى، فلما كانوا بالمدينة دخلوا المسجد النبوى فوجدوا شيخاً أعمى يقص على الناس أخباراً موضوعة مكذوبة، فقال البغوى: ينبغى الإنكار عليه فقال له بعض أصحابه: إنك لست ببغداد يعرفك الناس إذا أنكرت عليه، ومن يعرفك هنا قليل والجمع كثير، ولكن نرى أن تأمر أبا بكر الأدمى فيقرأ، فأمره فاستفتح فقرأ فلم يتم الاستعاذة حتى انجفل الناس عن ذلك الأعمى وتركوه وجاؤوا إلى أبى بكر ولم يبق عند الضرير أحد، فأخذ الأعمى بيد قائده وقال له: اذهب بنا فهكذا تزول النعم!![1]

(١) نفس المصدر جـ ١١/ ٢٦٧. ويقال للبازى صَقْر.

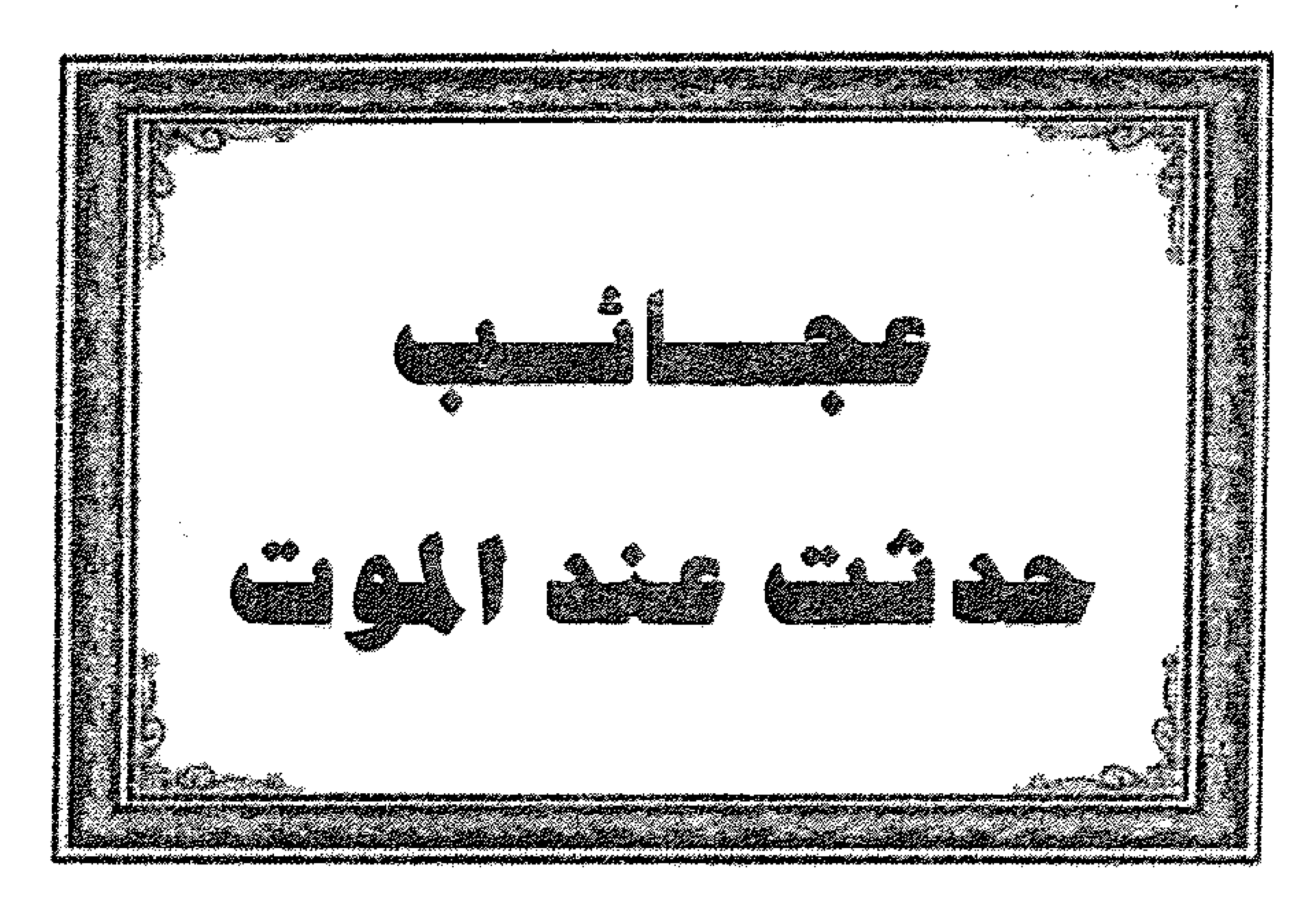


هكذا تكون الدعوة، وهكذا يكون تغيير المنكر.. لابد من نهج القرآن: الحكمة والموعظة الحسنة، وعصر المغريات والفتن الذى نعيشه يحتاج إلى دعاة يبتكرون لدفع الناس إلى ربهم. وإذا كان أهل الباطل يتفننون فى تزيين باطلهم والدعوة إليه، فعلى أهل الحق أن يحرصوا على دعوتهم ويقدموها كما كان الرسول يقدمها..

ووجه الإسلام الجميل يحتاج إلى إبرازه كما هو دون إفراط ولا تفريط.. وقاتل الله الذين شوهوه وهم يقدمونه، ونفّروا الناس منه وهم يدّعون أنهم ينصرونه.







عجائب حدثت عند الموت

وفاة غَادِر

روى ابن كثير من وقائع سنة ١٧٣ هـ فقال: وفيها توفيت غادر: جارية كانت لموسى الهادى، كان يحبها حباً شديداً جداً، وكانت تحسن الغناء جداً، فبينما هى تغنيه يوماً إذ أخذته فكرة غيبته عنها وتغيّر لونه، فسأله بعض الحاضرين: ما هذا يا أمير المؤمنين؟

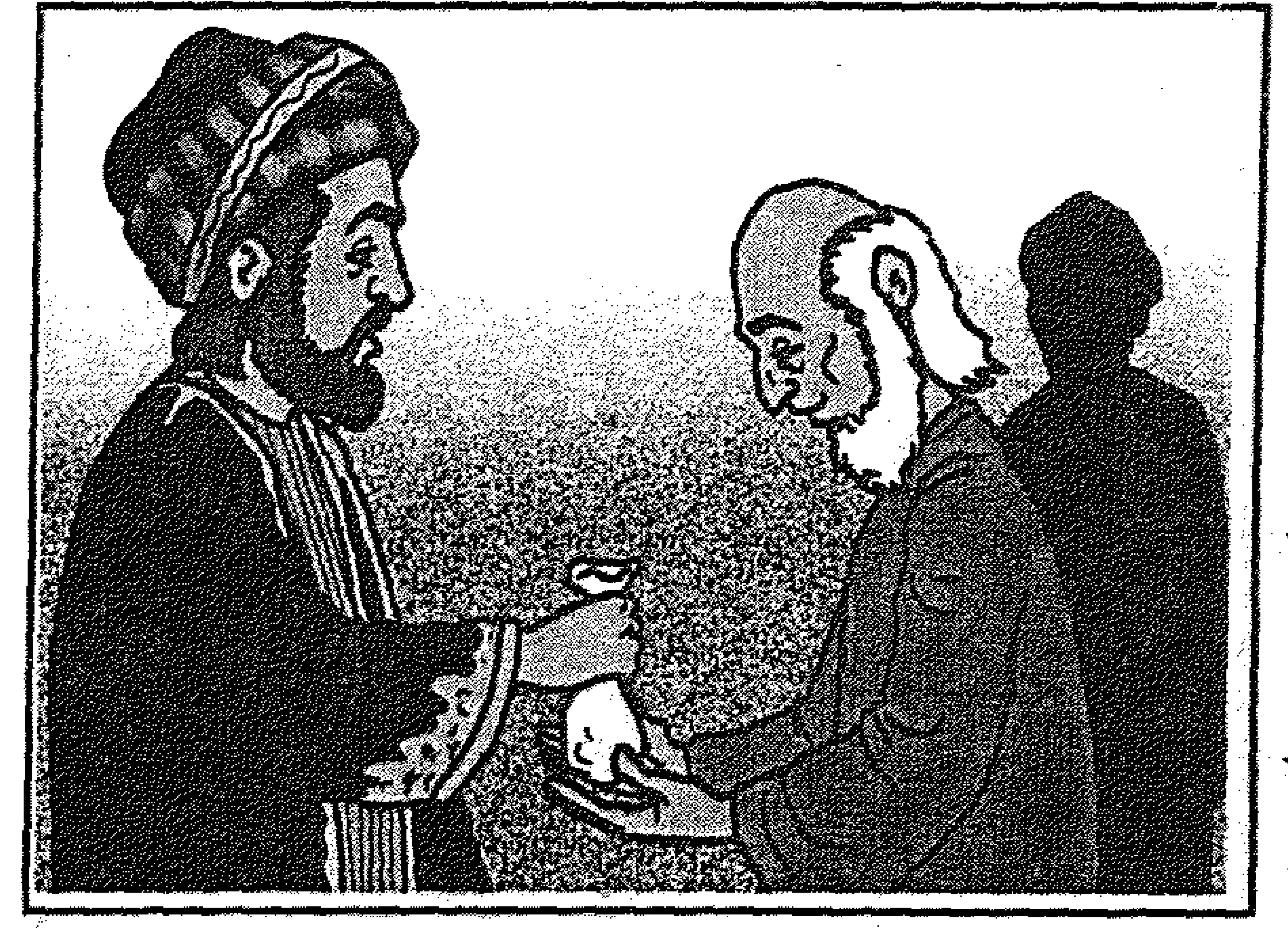
فقال: أخذتنى فكرة أنى أموت وأخى هارون يتولى الخلافة بعدى ويتزوج جاريتى هذه. ففدّاه الحاضرون ودعوا له بطول العمر. ثم استدعى أخاه هارون فأخبره بما وقع فعوذ الرشيد من ذلك، فاستحلفه الهادى بالايمان المغلظة من الطلاق والعتاق والحج ماشياً حافياً أن لا يتزوجها، فحلف له واستحلف الجارية كذلك فحلفت له، فلم يكن إلا أقل من شهرين حتى مات، ثم خطبها الرشيد فقالت: كيف بالأيمان التى حلفناها أنا وأنت؟ فقال: إنى أُكَفِّر عنى وعنك. فتزوجها وحظيت عنده جداً، حتى كانت تنام فى حجره فلا يتحرك خشية أن يزعجها. فبينما هى ذات ليلة نائمة إذ انتبهت مذعورة تبكى، فقال لها: ما شأنك؟ فقالت: يا أمير المؤمنين رأيت الهادى فى منامى هذا وهو يقول:



أخلفتِ عـهـدى بعـدَمـا	جـاورتُ سكان المقـابـرْ
ونسـيـتـنى وحنثتِ فى	أيمانكِ الكذبِ الفـواجـرْ
ونكحتِ غـادرةً أخـى	صدقَ الذى سمـاكِ غـادرْ
أمسـيتُ فى أهلِ البلى	وعـددتُ فى الموتى الغـوابرْ
لا يهنكِ الإلفَ الجـديـ	ـدُ ولا تـدرْ عنكِ الـدوائـرْ
ولحـقتِ بى قـبل الصـبـا	ح وصـرتُ حيثُ غـدوتُ صـائرْ

فقال لها الرشيد: أضغاث أحلام. فقالت: كلا والله يا أمير المؤمنين، فكأنما كُتِبَت هذه الأبيات فى قلبى. ثم مازالت ترتعد وتضطرب حتى ماتت قبل الصباح.

نهاية محسن



روى ابن كثير فى وقائع سنة ٥٥٩ هـ ترجمة لرجل يسمى جمال الدين فقال: (هو) وزير صاحب الموصل، قطب بن مودود بن زنكى، كان كثير المعروف، واسمه محمد ابن على بن أبى منصور، أبو جعفر الأصبهانى، الملقب بالجمال، كان كثير الصدقة والبر، وقد أثر آثاراً حسنة بمكة والمدينة، من ذلك أنه ساق عيناً إلى عرفات، وعمل هناك مصانع، وبنى مسجد الخيف ودرجه، وعملها بالرخام، وبنى على المدينة النبوية سوراً، وبنى جسراً على دجلة عند جزيرة ابن عمر بالحجر المنحوت، والحديد والرصاص، وبنى الربط الكثيرة، وكان يتصدق فى كل يوم فى بابه بمائة دينار،



ويفتدى من الاسارى فى كل سنة بعشرة آلاف دينار وكان لا تزال صدقاته وافدة إلى الفقهاء والفقراء، حيث كانوا من بغداد وغيرها من البلاد، وقد حبس فى سنة ثمان وخمسين، فذكر ابن الساعى فى تاريخه عن شخص كان معه فى السجن أنه نزل إليه طائر أبيض قبل موته فلم يزل عنده وهو يذكر الله حتى توفى فى شعبان من هذه السنة، ثم طار عنه ودفن فى رباط بناه لنفسه بالموصل، وقد كان بينه وبين أسد الدين شيركوه بن شادى مؤاخاة وعهد أيهما مات قبل الآخر أن يحمله إلى المدينة النبوية، فحمل إليها من الموصل على أعناق الرجال، فما مروا به على بلدة إلا صلوا عليه وترحموا عليه، وأثنوا خيراً، فصلوا عليه بالموصل وتكريت وبغداد والحلة والكوفة وفيد ومكة وطيف به حول الكعبة، ثم حُمِل إلى المدينة النبوية فدُفِن بها فى رباط بناه شرقى مسجد النبى ﷺ.

قال ابن الجوزى وابن الساعى: ليس بينه وبين حرم النبى ﷺ وقبره سوى خمسة عشر ذراعاً.(١)

شقى وسعيد!!

روى ابن كثير من وقائع سنة ٦٧٠ هـ ترجمة للشيخ على البكّاء فقال عنه: (هو) صاحب الزاوية بالقرب من بلد الخليل عليه السلام، كان مشهوراً بالصلاح والعبادة والإطعام لمن اجتاز به من المارة والزوار، وكان الملك المنصور قلاوون يثنى عليه ويقول: اجتمعتُ به - وهو أمير - وأنه كاشفه فى أشياء وقعت جميعها، ومن جملتها أنه سيملك. نقل ذلك قطب الدين اليونينى، وذكر أن سبب بكائه الكثير أنه صحب رجلاً كانت له أحوال وكرامات، وأنه خرج معه من بغداد فانتهوا فى ساعة واحدة إلى بلدة بينها وبين بغداد مسيرة سنة، وأن ذلك الرجل قال له إنى سأموت فى الوقت الفلانى، فاشهدنى فى ذلك الوقت فى البلد الفلانى. قال: فلما كان ذلك الوقت حضرتُ عنده وهو فى السياق، وقد استدار إلى جهة الشرق فحولته إلى القبلة فاستدار إلى الشرق فحولته أيضاً ففتح عينيه وقال: لا تتعب فإنى لا أموت إلا على هذه الجهة، وجعل يتكلم بكلام الرهبان حتى مات فحملناه فجئنا به إلى

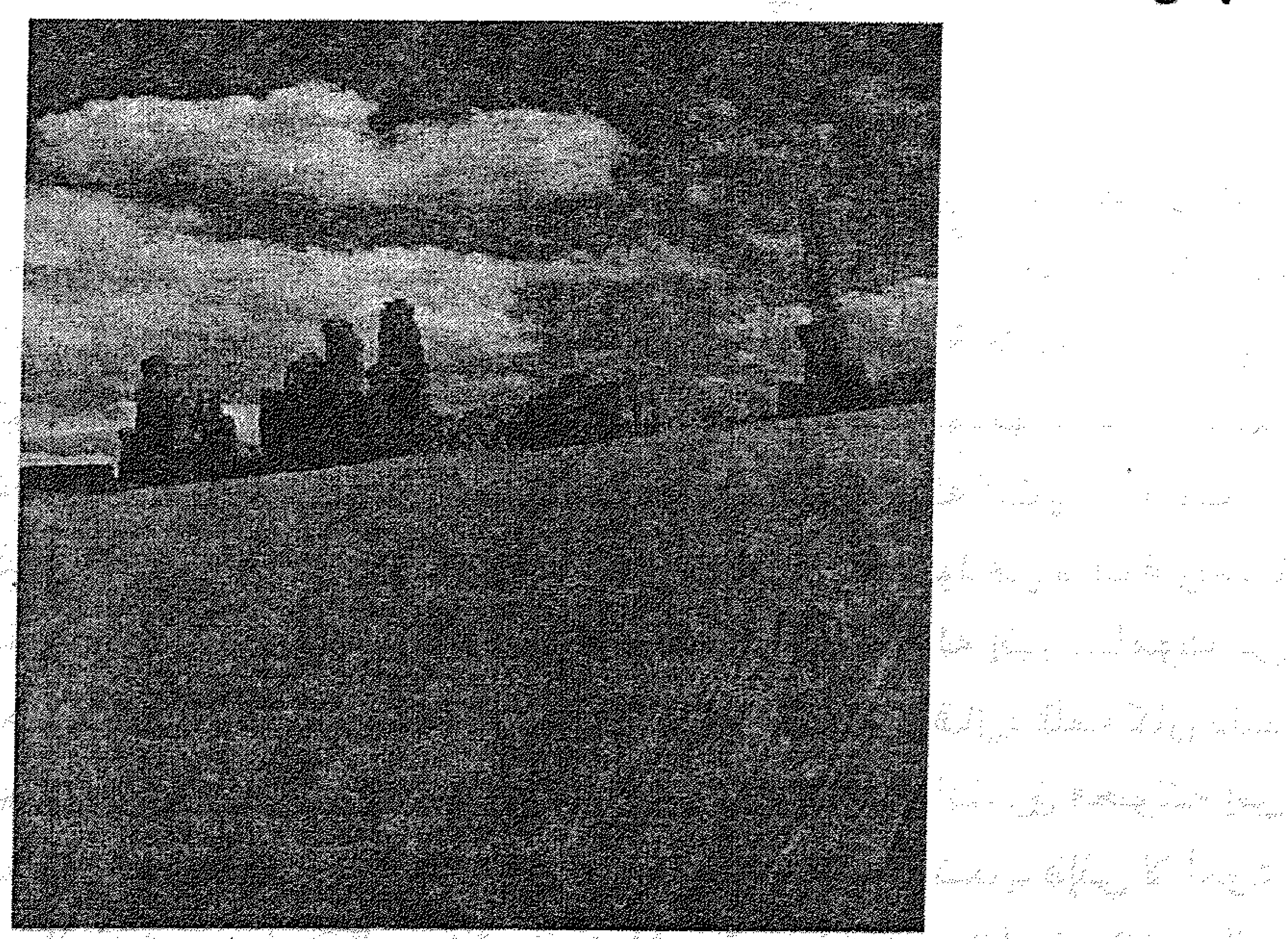
(١) المصدر السابق جـ ١٢ / ٣٠٩.



دير هناك فوجدناهم فى حزن عظيم، فقلنا لهم: ما شأنكم؟ فقالوا: كان عندنا شيخ كبير ابن مائة سنة، فلما كان اليوم مات على الإسلام، فقلنا لهم: خذوا هذا بدله وسلمونا صاحبنا، قال فوليناه فغسلناه وكفناه وصلينا عليه ودفناه مع المسلمين، وولوا هم ذلك الرجل فدفنوه فى مقبرة النصارى، نسأل الله حسن الخاتمة. مات الشيخ على فى رجب من هذه السنة.(١)

موت نبَّاش

روى ابن كثير من وقائع سنة ٦٨٦ هـ عن الحافظ علم الدين البرزالى أنه سمع من الشيخ صالح عز الدين عبد العزيز بن عبد المنعم بن الصيقل الحرّانى أنه شهد جنازة فى بغداد فتبعهم نباش، فلما كان الليل جاء إلى القبر ففتح عن الميت، وكان الميت شاباً قد أصابته سكتة، فلما فتح القبر نهض ذلك الشاب الميت جالساً فسقط النباش ميتاً فى القبر، وخرج الشاب من قبره، ودُفِنَ فيه النباش.(٢)



(١) المصدر السابق جـ ١٢/ ٣٠٦.

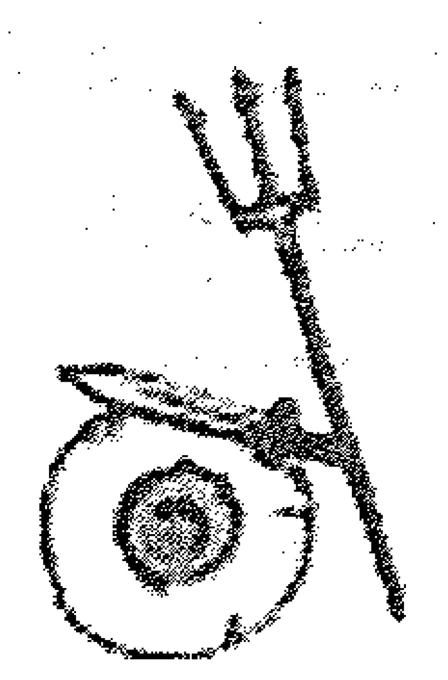
(٢) المصدر السابق جـ ١٣ ص ٣٦٦.

عجائب بعد الموت!!



روى ابن كـثـيـر فى معرض حديثه عن باب ما يتعلق بالحيوانات من دلائل النبوة وأورد شيئاً منها ثم كتب تحت عنوان ● قـصـة زيد بن خارجة وكلامه بعد الموت:

قـال الحـافظ أبو بكر البيهقى - بعد عنعنات - عن سعيد بن المسيب أن زيد ابن خارجة الأنصارى من بنى الحارث بن الخزرج توفى فى زمن عثمان بن عفان فسجِّى بثوبه، ثم إنهم سمعوا جلجلة فى صدره ثم تكلم فقال: أحمد أحمد فى الكتاب الأول، صَدَق صَدَق أبو بكر الصدِّيق الضعيف فى نفسه القوى فى أمر الله، فى الكتاب الأول، صدق صدق عمر بن الخطاب القوى الأمين فى الكتاب الأول، صدق صدق عثمان بن عفان على منهاجهم مضت أربع وبقيت ثنتان أتت بالفتن، وأكل الشديد الضعيف وقامت الساعة وسيأتيكم عن جيشكم خبر، بئر أريس، وما بئر أريس؟. (وهى البئر التى سقط فيها خاتم النبى ﷺ من يد عثمان).





رجل من بنى حطمة

قال يحيى بن سعيد: قال سعيد بن المسيب: ثم هلك رجل من بنى حطمة فسجى بثوبه، فَسُمِعَ جلجلة فى صدره، ثم تكلم فقال: إن أخا بنى الحارث بن الخزرج صَدَق صَدَق. (ثم رواه البيهقى عن الحاكم عن أبى بكر بن إسحاق، عن موسى (وفى الدلائل: عن قريش. هامش البداية) بن الحسن عن القعنبى فذكره وقال: هذا إسناد صحيح وله شواهد... وقد قال البخارى فى التاريخ الكبير ٢/ ١/ ٣٨٣: زيد بن خارجة الخزرجى الأنصارى شهد بدراً، توفى زمن عثمان وهو الذى تكلم بعد الموت).

رجل آخر يتكلم بعد الموت

روى ابن كثير عن ابن أبى الدنيا من كتابه «مَنْ عاش بعد الموت» - بعد عنعنات - عن عبد الله بن عبيد الأنصارى: أن رجلاً من بنى سلمة (وفى الدلائل: من قتلى مسيلمة. هامش البداية والنهاية) تكلم فقال: محمد رسول الله، أبو بكر الصدِّيق، عثمان اللين الرحيم، قال: ولا أدرى إيش قال فى عمر. كذا رواه ابن أبى الدنيا فى كتابه.

وقد قال الحافظ البيهقى - بعد إسناد - عن عبد الله بن عبيد الأنصارى قال: بينما هم يثورون القتلى يوم صفين أو يوم الجمل، إذ تكلم رجل من الأنصار من القتلى، فقال: محمد رسول الله أبو بكر الصدِّيق عمر الشهيد، عثمان الرحيم ثم سكت.

سلامٌ بعد الموت

روى ابن كثير فقال: حدثنا الحكم بن هشام الثقفى، حدثنا عبد الحكم بن عمير، عن ربعى بن خراش العبسى قال: مرض أخى الربيع بن خراش فمرَّضته ثم



مات فذهبنا نجهزه، فلما جئنا رفع الثوب عن وجهه ثم قال: السلام عليكم، قلنا: وعليك السلام، قَدْ مِتَّ قال: بلى ولكن لقيت بعدكم ربى ولقينى بروح وريحان ورب غير غضبان، ثم كسانى ثياباً من سندس أخضر، وإنى سألته أن يأذن لى أن أبشركم فأذن لى، وإن الأمر كما ترون، فسددوا وقاربوا، وبشروا ولا تنفروا، فلما قالها كانت كحصاة وقعت فى ماء.(١)

تحية وكرامة لخامس الراشدين

روى ابن كثير من وقائع سنة ١٠١ هـ فقال: وقال أبو بكر بن أبى شيبة: حدثنا عبد الملك بن عبد العزيز، عن الدراوردى، عن عبد العزيز بن أبى سلمة أن عمر بن عبد العزيز لما وُضِعَ عند قبره هبت ريح شديدة فسقطت صحيفة بأحسن كتاب فقرأوها فإذا فيها: بسم الله الرحمن الرحيم براءة من الله لعمر بن عبد العزيز من النار!! فأدخلوها بين أكفانه ودفنوها معه.(٢)

أين طاوس؟!

روى ابن كثير من وقائع سنة ١٠٦ هـ فقال: وقال سلمة بن شبيب - بعد إسناد - قال طاوس لابنه: إذا قبرتنى فانظر فى قبرى، فإن لم تجدنى فاحمد الله تعالى، وإن وجدتني فإنا لله وإنا إليه راجعون.

قال عبد الله: فأخبرنى بعض ولده أنه نظر فلم يره ولم يجد فى قبره شيئاً، ورؤى فى وجهه السرور!!(٣)

---

(١) البداية والنهاية جـ ٦/ ١٧٣ وما بعدها.

(٢) نفس المصدر جـ ٩/ ٢٣٦. (٣) نفس المصدر جـ ٩/ ٢٦٧.



عاد من قبره



من وقائع سنة ٢٩٩ هـ روى لنا ابن كثير رحمه الله هذه العجيبة فقال: وكان محمد بن يحيى هذا يدعى بحامل كفنه وذلك ما ذكره الخطيب قال: بلغنى أنه توفى فغسل وكفن وصلى عليه ودفن، فلما كان الليل جاء نباش ليسرق كفنه ففتح عليه قبره. فلما حل عنه كفنه استوى جالساً وفر النباش هارباً من الفزع، ونهض محمد بن يحيى هذا فأخذ كفنه معه وخرج من القبر وقصد منزله فوجد أهله يبكون عليه، فدق عليهم الباب فقالوا: مَن هذا؟ فقال: أنا فلان.

فقالوا: يا هذا لا يحل لك أن تزيدنا حزناً إلى حزننا. فقال: افتحوا والله أنا فلان، فعرفوا صوته فلما رأوه فرحوا به فرحاً شديداً وأبدل الله حزنهم سروراً. ثم ذكر لهم ما كان من أمره وأمر النباش. وكأنه قد أصابته سكتة ولم يكن قد مات حقيقةً فقدَّر الله بحوله وقوته أن بعث له هذا النباش ففتح عليه قبره، فكان ذلك سبب حياته، فعاش بعد ذلك عدة سنين، ثم كانت وفاته فى هذه السنة.[1]

* * *

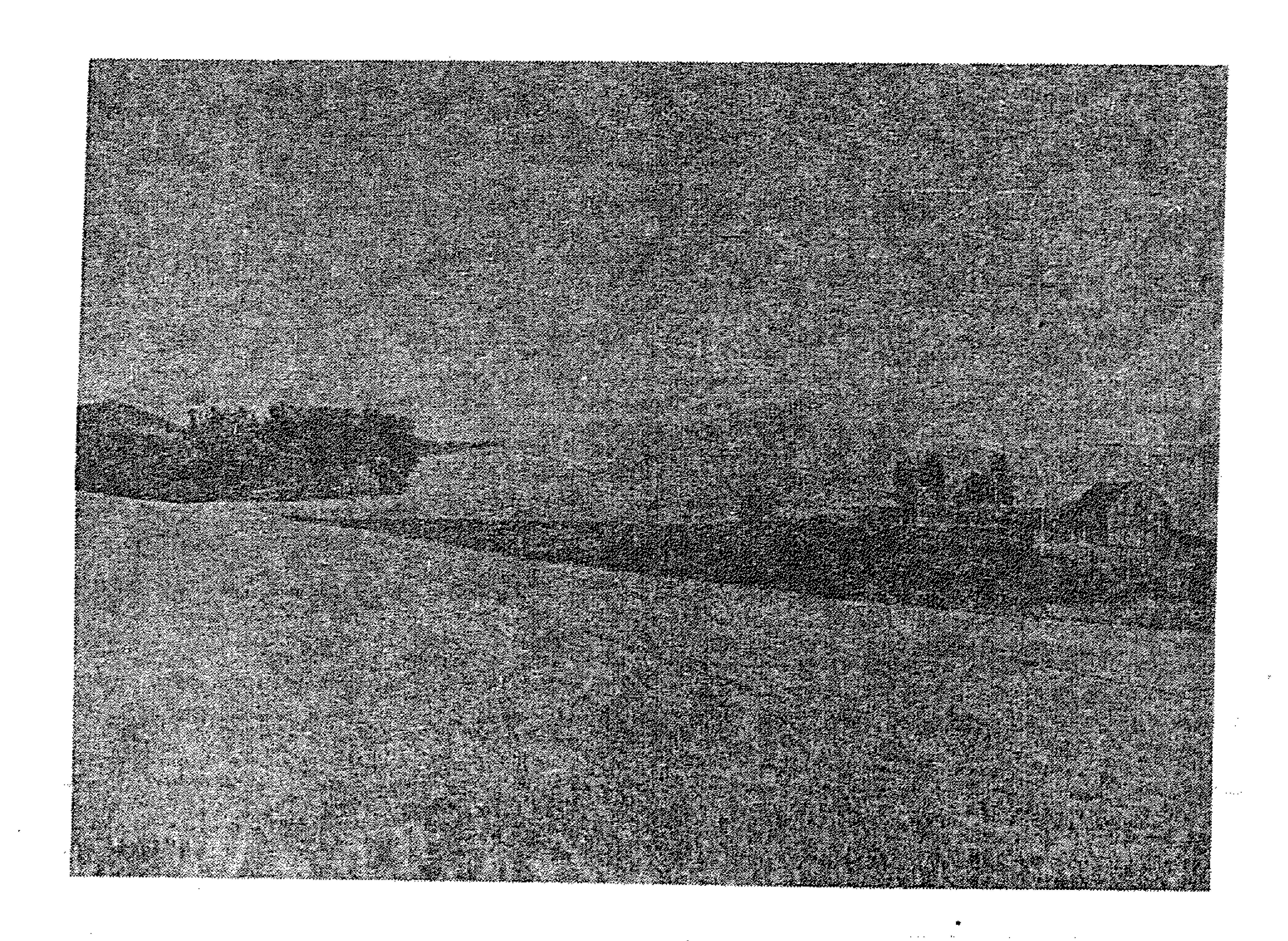
---

(١) المصدر السابق جـ ١١/ ١٣٣.



قلت: من المؤكد أن بعض الناس دفنوا وهم أحياء نتيجة الإهمال.. وهذا قدرهم.. والبعض ممن قدر الله لهم الحياة عادوا من قبورهم.. وتطالعنا الصحف ما بين حين وآخر بأمثال هذه الحوادث.. وقد نوقش هذا الموضوع فى الصحف والمجلات.. وأدلى الأطباء الكبار بدلوهم فيه وقالوا - فيما أعلم - إن توقف القلب لا يعنى الموت، فمن الممكن عن طريق صدمة كهربائية أن يعود القلب إلى العمل.. ولكن إذا أصيب العقل أو المخ بالسكتة فلا حيلة بعد ذلك..

المهم أنه ينبغى التأكد من موت الإنسان عن طريق المختصين حتى لا يُدْفَن الناس وهم أحياء.







أقصد فى هذا الفصل وقوع أمور تتفق بصورة غريبة يقلّ نظيرها.. ومن هذه الأمور:

عاتكة وأزواجها

روى ابن كثير من وقائع سنة ١٢ هـ أن عاتكة بنت زيد تزوج منها عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه .... وقد كانت قبله تحت زيد بن الخطاب، فيما قيل، فَقُتِل عنها، وكانت قبل زيد تحت عبد الله بن أبى بكر فقُتِل عنها، ولما مات عمر (مقتولاً أيضاً) تزوجها بعده الزبير، فلما قُتِل خطبها على بن أبى طالب فقالت: إنى أرغب بك عن الموت، وامتنعت عن التزوج حتى ماتت.(١)

* * *

من عجائب الأقدار أن يتفق وقوع هذه الأمور لعاتكة رضى الله عنها.. وقد خافت أن يتزوج منها على ـ رضي الله عنه ـ ولكنه مات مقتولاً حتى لا يتشاءم بها البعض فليس لها دور فى الأحداث.. وإنما هى أقدار الله سبحانه.

---

(١) البداية والنهاية جـ ٦/ ٣٨٩.

من عجائب الاتفاق

روى ابن كثير فقال: والعجب أن خلافة النبوة التالية لزمان رسول الله ﷺ كانت ثلاثين سنة كما نطق بها الحديث الصحيح. (قلت: وليس فى هذا عجب، فما أخبر به المعصوم ﷺ وحى ويقين.. ولكن العجيب حقاً فى الآتى... كانت مُلْكاً فكان أول ملوك الإسلام من بنى أبى سفيان معاوية... ثم ابنه يزيد، ثم ابنه معاوية،... وانقرض هذا البطن المفتَتَح بمعاوية، ثم مَلَكَ مروان بن الحكم بن أبى العاص... ثم ابنه عبد الملك، ثم هشام بن عبد الملك، ثم الوليد بن يزيد ثم يزيد ابن الوليد، ثم أخوه إبراهيم الناقص وهو ابن الوليد أيضاً، ثم مروان بن محمد بن مروان الملقب بالحمار، وكان آخرهم، فكان أولهم اسمه مروان وآخرهم اسمه مروان، ثم انقرضوا من أولهم إلى خاتمهم.

وكان أول خلفاء بنى العباس عبد الله السفّاح، وآخرهم عبد الله العاضد، وهذا اتفاق غريب جداً قَلّ مَنْ يتنبه له، والله سبحانه أعلم.(١)

---

(١) المصدر السابق جـ ١٣/ ٣٢٩.



عجيبة فى اللقاء

روى ابن كثير ترجمة للشيخ محمد الفقيه اليونينى - من وقائع سنة ٦٥٨ هـ - وفيها: ذكر الشيخ الفقيه له: عزمتُ مرة على الرحلة إلى حران، وكان قد بلغنى أن رجلاً بها يَعْلَم علم الفرائض جيداً (أى المواريث)، فلما كانت الليلة التى أريد أن أسافر فى صبيحتها جاءتنى رسالة الشيخ عبد الله اليونينى يعزم علىَّ إلى القدس الشريف، وكأنى كرهت ذلك وفتحتُ المصحف فطلع قوله ﴿اتَّبِعُوا مَن لاَّ يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾ (يس: ٢١) فخرجت معه إلى القدس فوجدت ذلك الرجل الحرّانى بالقدس الشريف، فأخذتُ عنه علم الفرائض حتى خُيِّل أنى صرتُ أبرع فيه منه.





من عجائب الفَرَاسَة

الفَراسَة نورٌ يلقيه الله فى قلب العبد، فإذا تَوسَّم أمراً وقع بإذن الله. وقد روى لنا ابن كثير فى تاريخه عدداً منها نقتطف منه هذه المواقف:

فراسة الإمام أبى حنيفة رحمه الله

روى ابن كثير فى وفيات سنة ١٨٢ هـ هذا الموقف وهو يتحدث عن تلميذ أبى حنيفة أبى يوسف الذى كانت وفاته فى هذا العام يقول: وأبو يوسف كان أكبر أصحاب أبى حنيفة (أى فى العلم) روى الحديث عن الأعمش وهمام بن عروة ومحمد بن إسحاق ويحيى بن سعيد وغيرهم...

قال على بن الجعد: سمعت (أبو يوسف) يقول: تُوُفِّىَ أبى وأنا صغير فأسلمتنى أمى إلى قَصَّار (مُبَيِّض الثياب/ الوجيز) فكنت أمرّ على حلقة أبى حنيفة فأجلس فيها، فكانت أمى تتبعنى فتأخذ بيدى من الحلقة وتذهب بى إلى القصّار، ثم كنت أخالفها فى ذلك وأذهب إلى أبى حنيفة، فلما طال ذلك عليها قالت لأبى حنيفة: إن هذا صبى يتيم ليس له شئ إلا ما أطعمه من مغزلى، وإنك قد أفسدته علىَّ. فقال لها: اسكتى يا رَعْنَاء (يا حمقاء/ اللسان)، ها هو ذا الفالوذج بدهن الفستق فى صحون الفيروزج (الفالوذ: حلواء تعمل من لُبِّ الحنطة/ اللسان) فقالت له: إنك شيخ قد خرَّفت.

قال أبو يوسف: فلما وليت القضاء ـ وكان أول مَنْ ولاَّه القضاء الهادى وهو أول مَنْ لُقِّب قاضى القضاة، وكان يقال له قاضى قضاة الدنيا؛ لأنه كان يستنيب فى سائر الأقاليم التى يحكم فيها الخليفة ـ قال أبو يوسف: فبينَّا أنا ذات يوم عند الرشيد إذ أتى بفالوذج فى صحن فيروز فقال لى: كل من هذا، فإنه لا يُصْنَع لنا فى كل وقت. قلت: وما هذا يا أمير المؤمنين؟ فقال: هذا الفالوذج. قال: فتبسمت. فقال: مالك تبتسم؟ فقلت: لا شئ أبقى الله أمير المؤمنين. فقال: لِتُخَبِّرَنى. فقصصت عليه القصة فقال: إن العلم ينفع ويرفع فى الدنيا والآخرة. ثم قال: رحم الله أبا حنيفة، فلقد كان ينظر بعين عقله ما لا ينظر بعين رأسه.(١)

ـ (وقد كان أبو يوسف أيضاً يتمتع بالفراسة): روى ابن كثير فى نفس العام عن بشر بن غياث المريسى أنه قال: سمعت أبا يوسف يقول: صحبتُ أبا حنيفة سبع عشرة سنة ثم انصبت علىَّ الدنيا سبع عشرة سنة، وما أظن أجلى إلا أن اقترب. فما مكث بعد ذلك إلا شهوراً حتى مات.(٢)

كما قال المعتضد

من وقائع سنة ٢٨٩ هـ حكى ابن كثير عن وفاة المعتضد. ومما قال فى ترجمته: روى الخطيب بسنده عن صافى الجرمى الخادم قال: انتهى المعتضد وأنا بين يديه إلى منزل شغث وابنه المقتدر جعفر جالس فيه وحوله نحو من عشرة من الوصائف (الإماء/ اللسان)، والصبيان من أصحابه فى سِنّه عنده، وبين يديه طبق

(١) المصدر السابق جـ ١٠/ ١٩٤، ١٩٥.

(٢) المصدر السابق جـ ١٠/ ١٩٤، ١٩٥.



من فضة فيه عنقود من عنب، وكان العنب إذ ذاك عزيزاً، وهو يأكل عنبة واحدة ثم يفرق على أصحابه من الصبيان كل واحد عنبة، فتركه المعتضد وجلس ناحية فى بيت مهموماً. فقلت له: مالك يا أمير المؤمنين؟ فقال: ويحك والله لولا النار والعار لأقتلن هذا الغلام، فإن فى قتله صلاحاً للأُمَّة.

فقلت: أُعيذُكَ بالله يا أمير المؤمنين من ذلك.

فقال: ويحك يا صافى هذا الغلام فى غاية السخاء لما أراه يفعل مع الصبيان، فإن طباع الصبيان تأبى الكرم، وهذا فى غاية الكرم، وإن الناس من بعدى لا يُوَلُّون عليهم إلا مَنْ هو من ولدى، فَسَيَلِى عليهم المكتفى ثم لا تطول أيامه لِعلَّتهِ التى به - وهى داء الخنازير - ثم يموت فَيَلِى الناس جعفر هذا الغلام، فيذهب جميع أموال بيت المال إلى الحظايا لشغفه بهن، وقرب عهده من تشببه بهن، فتضيع أمور المسلمين، وتعطل الثغور وتكثر الفتن والهرج والخوارج والشرور.

قال صافى: والله لقد شاهدت ما قاله سواء بسواء.(١)

فراسة الجُنَيْد

روى ابن كثير من وقائع سنة ٢٩٨ هـ عن وفاة الجنيد ومما روى فى ترجمته: وقال له خاله السَّرِّىّ: تكلم على الناس (أى ادعهم إلى الله) فلم يَرَ نفسه موضعاً. فرأى فى المنام رسول الله ﷺ فقال له: تكلم على الناس. فغدا على خاله، فقال له، فقال: لم تسمع منى حتى قال لكَ رسول الله ﷺ. فتكلم على الناس، فجاءه شاب نصرانى فى صورة مسلم، فقال له: يا أبا القاسم ما معنى قول النبى ﷺ: «اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله» (حديث رواه الترمذى فى كتاب التفسير سورة (١٥) باب (٦)). فأطرق الجنيد، ثم رفع رأسه إليه وقال: أَسْلِمْ فقد آن لك أن تسلم قال فأسلم الغلام.(٢)

---

(١) المصدر السابق جـ ١١/ ١٠٠.

(٢) المصدر السابق جـ ١٢ / ٣٠٩.



فراسة واعظ

ترجم ابن كثير فى وفيات سنة ٣٨٧ هـ لابن سمعون واسمه محمد بن أحمد ابن إسماعيل أبو الحسين بن سمعون الواعظ، أحد الصلحاء والعلماء، كان يقال له الناطق بالحكمة... وكان له يد طولى فى الوعظ والتدقيق فى المعاملات، وكانت له كرامات ومكاشفات.. (ومن فراسته):

ـ كان يوماً يعظ على المنبر وتحته أبو الفتح بن القواس، وكان من الصالحين المشهورين، فنعس ابن القواس فأمسك ابن سمعون عن الوعظ حتى استيقظ، فحين استيقظ قال ابن سمعون: رأيتَ رسولَ الله فى منامِكَ هذا؟

قال: نعم! قال: فلهذا أمسكتُ عن الوعظ حتى لا أُزعجك عما كنتَ فيه.

ـ وكان لرجل ابنة مريضة مُدَنَّفَة (مرضها مُزْمِن/ اللسان بتصرف) فرأى أبوها رسول الله ﷺ فى المنام وهو يقول له: اذهب إلى ابن سمعون ليأتى منزلك فيدعو لابنتك تبرأ بإذن الله. فلما أصبح ذهب إليه. فلما رآه نهض ولبس ثيابه وخرج مع الرجل، فظن الرجل أنه يذهب إلى مجلس وعظه، فقال فى نفسه أقول له فى أثناء الطريق، فلما مرّ بدار الرجل دخل إليها فأحضر إليه ابنته فدعا لها وانصرف، فبرأت من ساعتها.

ـ بعث إليه الخليفة الطائع لله مَنْ أحضره إليه وهو مُغْضَب عليه، فَخِيفَ على ابن سمعون منه، فلما جلس بين يديه أخذ فى الوعظ، وكان أكثر ما أورده من كلام على بن أبى طالب. فبكى الخليفة حتى سُمِعَ نَشِيجُه (صوت بكائه/ اللسان)، ثم خرج من بين يديه وهو مُكرَّم، فقيل للخليفة: رأيناك طلبته وأنتَ غضبان، فقال: بَلَغَنِى أنه ينتقص علياً فأردتُ أن أعاقبه، فلما حضر أكثر من ذِكْر عَلِيّ فعلمتُ أنه مُوَفَّق، فَذَكَّرَنى وشفى ما كان فى خاطرى عليه.

* * *



هل كل واحد فينا قادر على هذه الفراسة؟ بالطبع لا لأن الناس يتفاوتون فى إيمانهم.. والإيمان يزيد وينقص وكثير منا مسلمون، وبعضنا مؤمنون.. والفراسة تحتاج إلى إصلاح الباطن مع الظاهر والإخلاص فى القول والعمل، فإذا صفا القلب وامتلأ بالورع أصبح صالحاً لتجلّى المولى بفيوضاته ونفحاته فتكون المكاشفات والكرامات والفراسة!!





عجائب إياس



اشتهر إياس بالذكاء حتى صار عَلَماً ورمزاً يضرب به المثل فى الذكاء. واسمه إياس بن معاوية. وهو تابعى (أى لحق بالصحابة أو لقى بعضهم) وقد وَلِىَ قضاء البصرة وقد قدَّم ابن كثير له ترجمة فى وفيات سنة ١٢٢ هـ تحت عنوان «إياس الذكىّ» نقتطف منها هذه العجائب.

إياس مع أبيه وأمه

قال إياس بن معاوية لأمه: ما شئ سمعته وأنتِ حامل بى وله جَلَبَة (صوت مرتفع) شديدة؟ قالت: ذاك طست من نحاس سقط من فوق الدار إلى أسفل، ففزعت فوضعتك تلك الساعة.

- ولما ماتت أمه بكى عليها فقيل له فى ذلك فقال: كان لى بابان مفتوحان إلى الجنة فغُلق أحدهما.

- وقال له أبوه: إن الناس يلدون أبناء وولدتُ أنا أباً.



إياس مع أصحابه

كان أصحابه يجلسون حوله ويكتبون عنه الفراسة (ومن ذلك):

* بينما هم جلوس إذ نظر إلى رجل قد جاء فجلس على دكة حانوت، وجعل كلما مرّ أحد ينظر إليه، ثم قام فنظر فى وجه رجل ثم عاد، فقال لأصحابه: هذا فقيه كُتَّاب قد أبق (هرب) له غلام أعور فهو يتطلبه، فقاموا إلى ذلك الرجل فسألوه فوجدوه كما قال إياس، فقالوا لإياس: من أين عرفتَ ذلك؟ فقال: لما جلس على دكة الحانوت علمتُ أنه ذو ولاية، ثم نظرت فإذا هو لا يصلح إلا لفقهاء المكتب، ثم جعل ينظر إلى كل مَنْ مرّ به فعرفت أنه فقد غلاماً، ثم لما قام فنظر إلى وجه ذلك الرجل من الجانب الآخر، عرفت أن غلامه أعور.

* وروى ابن عساكر أن إياساً سمع صوت امرأة من بيتها فقال: هذه امرأة حامل بصبى، فلما ولدت ولدت كما قال، فسُئل بم عرفتَ ذلك؟

قال: سمعت صوتها ونَفَسَها معه فعلمت أنها حامل، وفى صوتها ضَحَل (أى قُرْب. والضَّحَلُ: القريب القَعْر/ اللسان) فعلمت أنه غلام.

* قال العجلى: دخل على إياس ثلاث نسوة فلما رآهن قال: أما إحداهن فمرضع، والأخرى بكر، والأخرى ثيِّب، فقيل له: بم علمتَ هذا؟

فقال: أما المرضع فكلما قعدت أمسكت ثديها بيدها، وأما البكر فكلما دخلت لم تلتفت إلى أحد، وأما الثيب فكلما دخلت نظرت ورمت بعينها.



محاورات إياس

* قال بعضهم عن إياس قال: كنت فى الكُتَّاب وأنا صبى فجعل أولاد النصارى يضحكون من المسلمين ويقولون: إنهم يزعمون أنه لا فضلة لطعام أهل الجنة، فقلت للفقيه ـ وكان نصرانياً، (وفى وفيات الأعيان ١ / ٢٤٨ كان يهودياً) ـ: ألست تزعم أن فى الطعام ما ينصرف فى غذاء البدن؟ قال: بلى، قلت فما ينكر أن يجعل الله طعام أهل الجنة كله غذاء لأبدانهم؟ فقال له معلمه: ماأنت إلا شيطان!!

قال ابن كثير معلقاً على ذلك ـ: وهذا الذى قاله إياس وهو صغير بعقله قد ورد به الحديث الصحيح كما سنذكره إن شاء الله فى أهل الجنة أن طعامهم ينصرف جُشَاء وعرقاً كالمسك، فإذا البطن ضامر.

* قال الأصمعى عن أبيه: رأيت إياس بن معاوية فى بيت ثابت البنانى، وإذا هو أحمر طويل الذراع غليظ الثياب، يلون عمامته، وهو قد غلب على الكلام فلا يتكلم معه أحد إلا علاه، وقد قال له بعضهم: ليس فيك عيب سوى كثرة كلامك، فقال: بحق أتكلم أم بباطل؟ فقيل بل بحق، فقال: كلما كثر الحق فهو خير، ولامه بعضهم فى لباسه الثياب الغليظة فقال: إنما ألبس ثوباً يخدمنى ولا ألبس ثوباً أخدمه.

❖ وقال بعضهم: سأل رجل إياسًا عن النبيذ فقال: هو حرام، فقال الرجل: فأخبرنى عن الماء فقال:حلال قال: فالكسور، قال: حلال، قال: فالتمر؟ قال: حلال قال: فما باله إذا اجتمع حرم؟ فقال إياس: أرأيت لو رميتك بهذه الحفنة من التراب أتوجعك؟ قال: لا توجعنى، قال: فهذه الغَرْفَة من الماء؟ قال: لاتوجعنى شيئًا، قال: أفرأيت إنْ خلطت هذا بهذا وهذا بهذا حتى صار طينًا ثم تركته حتى استحجر ثم رميتك أيوجعك؟ قال: أى والله وتقتلنى، قال: فكذلك تلك الأشياء إذا اجتمعت.

ذكاء الباقلانى



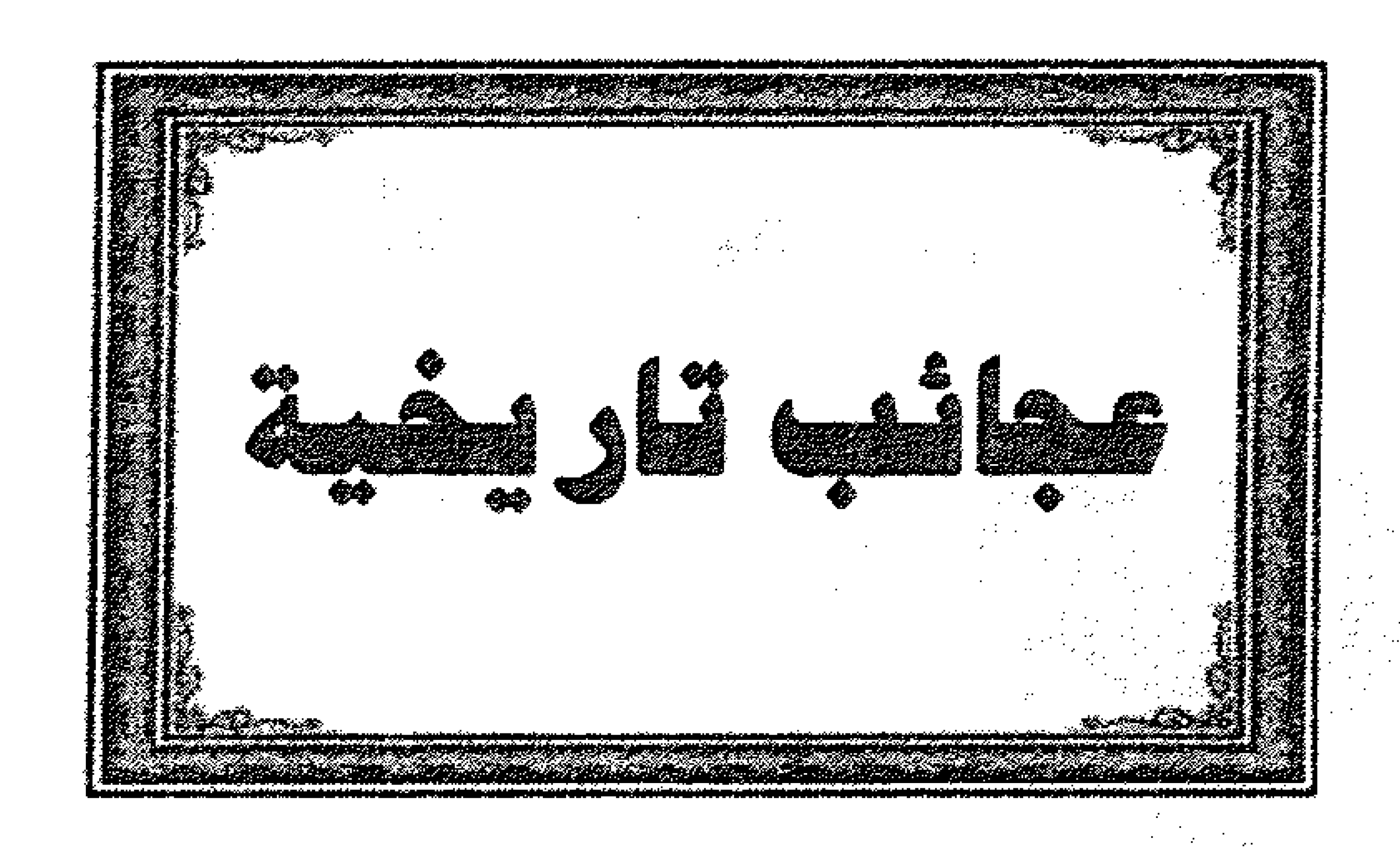
ترجم ابن كثير للقاضى أبى بكر الباقلانى واسمه محمد بن الطيب فى وفيات سنة ٤٠٣ هـ فقال عنه: وقد كان فى غاية الذكاء والفطنة. ذكر الخطيب وغيره عنه أن عضد الدولة بعثه فى رسالة إلى ملك الروم، فلما انتهى إليه إذا هو لا يدخل عليه أحد إلا من باب قصير كهيئة الراكع، ففهم الباقلانى أن مراده أن ينحنى الداخل عليه له كهيئة الراكع لله عز وجل، فدار استه إلى الملك ودخل الباب بظهره يمشى إليه القهقرى فلما وصل إليه انفتل فَسَلَّم عليه، فعرف الملك ذكاءه ومكانه من العلم والفهم، فعظَّمه.

* ويقال إن الملك أحضر بين يديه آلة الطرب المسماة بالأرغل، ليستفز عقله بها، فلما سمعها الباقلانى خاف على نفسه أن تظهر منه حركة ناقصة بحضرة الملك، فجعل لا يألو جهدا أن جرح رجله حتى خرج منها الدم الكثير، فاشتغل بالألم عن الطرب، ولم يظهر عليه شىء من النقص والخِفَّة، فعجب الملك من ذلك، ثم إن الملك استكشف الأمر فإذا هوقد جرح نفسه بما أشغله عن الطرب، فتحقق الملك وفور همته وعلو عزيمته، فإن هذه الآلة لا يسمعها أحد إلا طرب شاء أم أبى.

* سأله بعض الأساقفة بحضرة ملكهم فقال: ما فعلت زوجة نبيكم؟ وما كان من أمرها بما رُمِيَت به من الإفك؟ فقال الباقلانى مجيباً على البديهة: هما امرأتان ذُكِرَتا بسوء: مريم وعائشة، فبرأهما الله عزوجل، وكانت عائشة ذات زوج ولم تأت بولد، وأتت مريم بولد ولم يكن لها زوج ـ يعنى أن عائشة أولى بالبراءة من مريم ـ وكلاهما بريئة مما قيل فيها، فإن تطرَّق فى الذهن الفاسد احتمال ريبة إلى هذه فهو إلى تلك أسرع، وهما بحمد الله منزهتان مبرأتان من السماء بوحى الله عز وجل، عليهما السلام.[1]

(١) البداية والنهاية جـ ١١ / ٤٠٥.





تفكر ليلة

روى ابن كثير فى ترجمة بِشْر الحافى الزاهد المشهور وذلك من وفيات سنة ٢٢٧ هـ فقال: روى الخطيب عَن زبدة (أخت بشر) قالت: جاء ليلة أخى بشر فدخل برجله الدار وبقيت الأخرى خارج الدار، فاستمر كذلك ليلته حتى أصبح، فقيل له فيم تفكَّرْتَ ليلتك؟ فقال: تفكرت فى بشر النصرانى وبشر اليهودى وبشر المجوسى وفى نفسى لأن اسمى بشر، فقلتُ فى نفسى: ما الذى سبقت لى من الله حتى خصَّنى بالإسلام من بينهم؟ فتفكرت فى فضل الله علىَّ وحمدته أن هدانى للإسلام، وجعلنى مِمَّن خصَّهُ به، وألبسنى لباس أحبابه. (١) (ما أحوجنا إلى التفكر والتدبر).

عاشق البلد الحرام

ترجم ابن كثير لمحمد بن إسماعيل أبى عبد الله المغربى هذه العجيبة فى وفيات سنة ٢٩٩ هـ فقال: حجَّ على قدميه سبعًا وتسعين حجة، وكان يمشى فى الليل المظلم حافيًا كما يمشى الرجل فى ضوء النهار، وكان المشاة يأتمون به فيرشدهم إلى الطريق،، وقال: ما رأيت ظُلْمَة منذ سنين كثيرة، وكانت قدماه مع كثرة مشيه كأنهما قدما عروس مترفة!!(١)

---

(١) نفس المصدر جـ ١٠/ ٣٢٨.

لص ذو قدرات خاصة

من وقائع سنة ٤٧٩ هـ روى ابن الجوزى أنه قال: وظهر رجل بين السندية وواسط يقطع الطريق وهو مقطوع اليد اليسرى، يفتح القفل فى أسرع مدة، ويغوص دِجْلَة فى غوصتين، ويقفز القفزة خمسة وعشرين ذراعا، ويتسلق الحيطان الملس، ولا يقدر عليه أحد، وخرج من العراق سالماً.(٢)

وكان المحامى حيَّة

روى ابن كثير فى وفيات سنة ٥٠٠ هـ: فى ترجمة يوسف بن على أبى القاسم الزنجانى الفقيه، كان من أهل الديانة، حكى عن الشيخ أبى إسحاق الشيرازى عن القاضى أبى الطيب، قال: كنا يومًا بجامع المنصور فى حَلَقَة فجاء شاب خراسانى فَذُكِرَ حديث أبى هريرة فى المطر فقال الشاب: غير مقبول، فما استتم كلامه حتى سقطت من سقف المسجد حَيَّة فنهض الناس هاربين وتبعت الحية ذلك الشاب من بينهم، فقيل له تُبْ تب.

فقال: تبت، فذهبت فلا ندرى أين ذهبت؟..

رواها ابن الجوزى عن شيخه أبى المعمر الأنصارى عن أبى القاسم هذا والله أعلم.(٣)

(١) المصدر السابق جـ ١١ / ١٣٣.

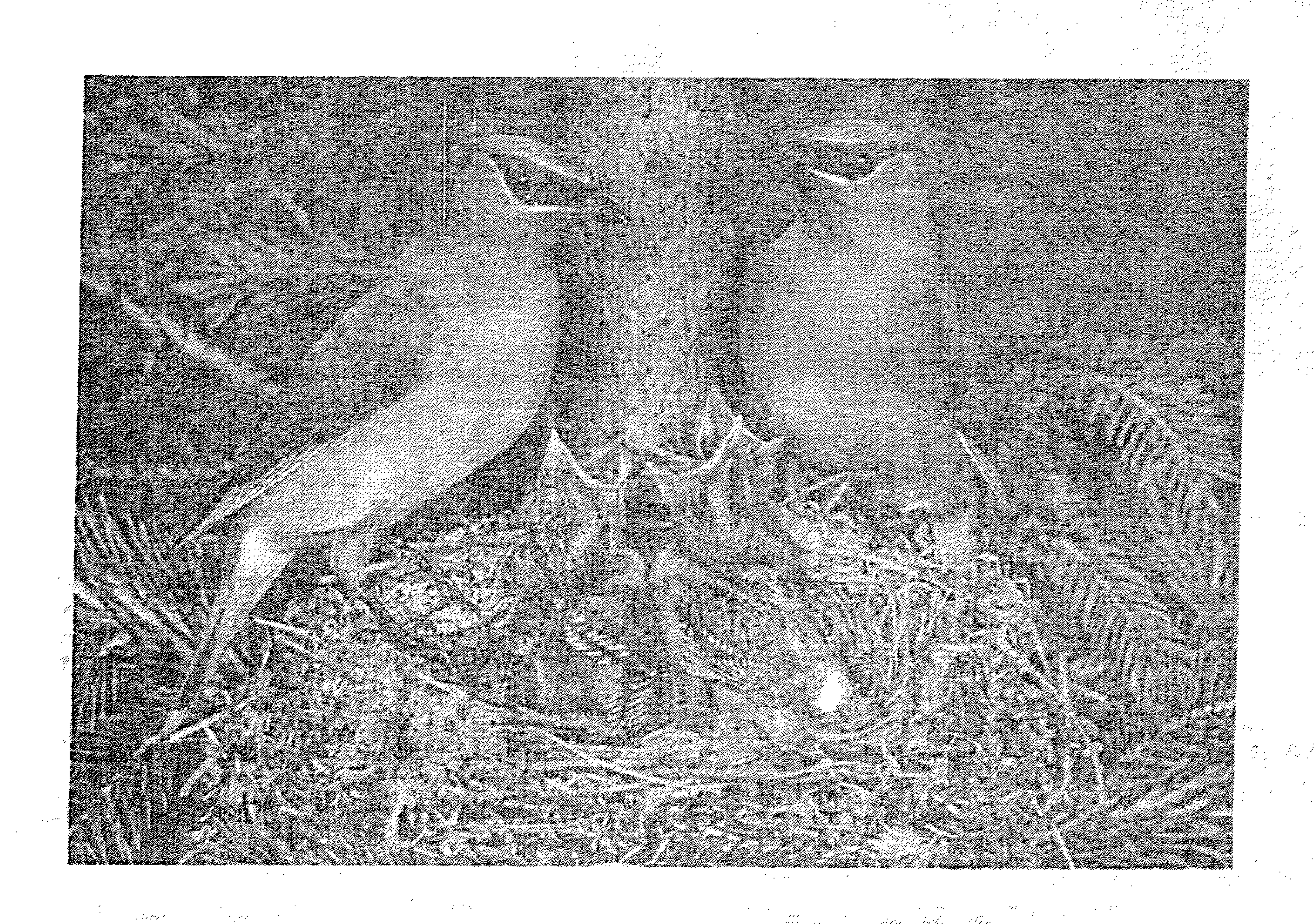
(٢) المصدر السابق جـ ١٢ / ١٦١.

(٣) المصدر السابق جـ ١٢ / ٢٠٨.

رزق الله

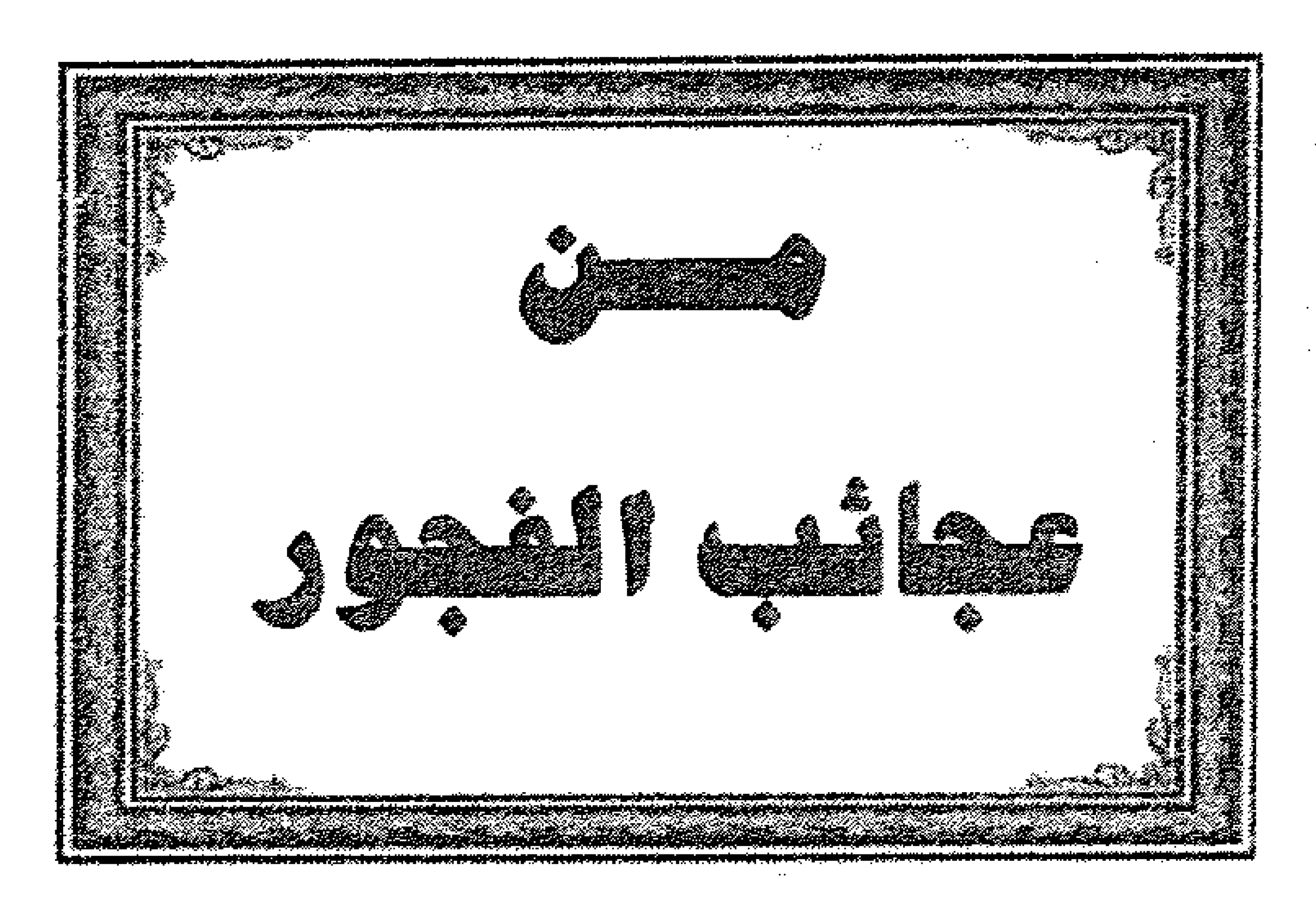
روى ابن كثير فى ترجمة الشيخ صالح عز الدين عبد العزيز بن عبد المنعم بن الصقيل الحرَّانى من وقائع سنة ٦٨٦ هـ.. وحكى له فقال: كنت مرة بقليوب وبين يدى صبرة قمح، فجاء زنبور فأخذ واحدة ثم ذهب، ثم جاء فأخذ أخرى ثم ذهب (أربع مرات)، قال فاتبعته فإذا هو يضع الحبة فى فم عصفور أعمى بين تلك الأشجار هناك[١].

* وحكى لى الشيخ عبد الكافى أنه شهد مرة جنازة فإذا عبد أسود معها، فلما صلى الناس عليها لم يصلِّ، فلما حضرنا الدفن نظر إلىَّ وقال: أنا عمله، ثم ألقى نفسه فى قبر ذلك الميت، قال: فنظرت فلم أر شيئاً[٢].



(١، ٢) المصدر نفسه جـ ١٣ / ٣٦٦.





من عجائب الفجور

قرآن مسيلمة الكذاب

أورد ابن كثير مقتل هذا الفاجر سنة ١١ هـ وذكر شيئًا من الخرافات التى كان يسميها قرآناً ومنها:

* لما قَدِمَت وفود بنى حنيفة على الصدّيق قال لهم: أسمعونا من قرآن مسيلمة، فقالوا: أوَ تعفينا يا خليفة رسول الله؟ فقال: لابد من ذلك، فقالوا: كان يقول: يا ضفدع بنت الضفدعين نقى لكم تنقين، لا الماء تكدرين ولا الشارب تمنعين، رأسك فى الماء، وذَنَبك فى الطين.

وكان يقول: والمبذرات زرعًا، والحاصدات حصداً، والذاريات قمحاً، والطاحنات طحناً، والخابزات خبزاً، والثاردات ثرداً، واللاقمات لقماً، إهالة وسمناً، لقد فضلتم على أهل الوبر، وما سبقكم أهل المدر، رفيقكم فامنعوه، والمعتر فآووه، والناعى فواسوه.

وذكروا أشياء من هذا الخرافات التى يأنف من قولها الصبيان وهم يلعبون، فيقال إن الصدّيق قال لهم: ويحكم، أين كان يذهب بعقولكم؟ إن هذا الكلام لم يخرج من آلّ.

* وكان يقول: والفيل وما أدراك ما الفيل، له زلوم طويل، وكان يقول: والليل الدامس، والذئب الهامس، ما قطعت أسد من رطب ولا يابس.



(وكان يقول) لقد أنعم الله على الحبلى، أخرج منها نسمة تسعى، من بين صفاق وحَشَى، وأشياء من هذا الكلام السخيف الركيك البارد السميج.

قال ابن كثير: وقد أورد أبو بكر الباقلانى ـ رحمه الله ـ فى كتابه إعجاز القرآن أشياء من كلام هؤلاء الجهلة المتنبئين كمسيلمة وطليحة والأسود وسجاح وغيرهم، مما يدل على ضعف عقولهم وعقول من اتبعهم على ضلالهم ومحالهم.

وقد روينا عن عمرو بن العاص (ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ) أنه وفد إلى مسيلمة فى أيام جاهليته، فقال له مسيلمة: ماذا أنزل على صاحبكم فى هذا الحين؟ فقال له عمرو: لقد أنزل عليه سورة وجيزة بليغة، فقال وما هى؟

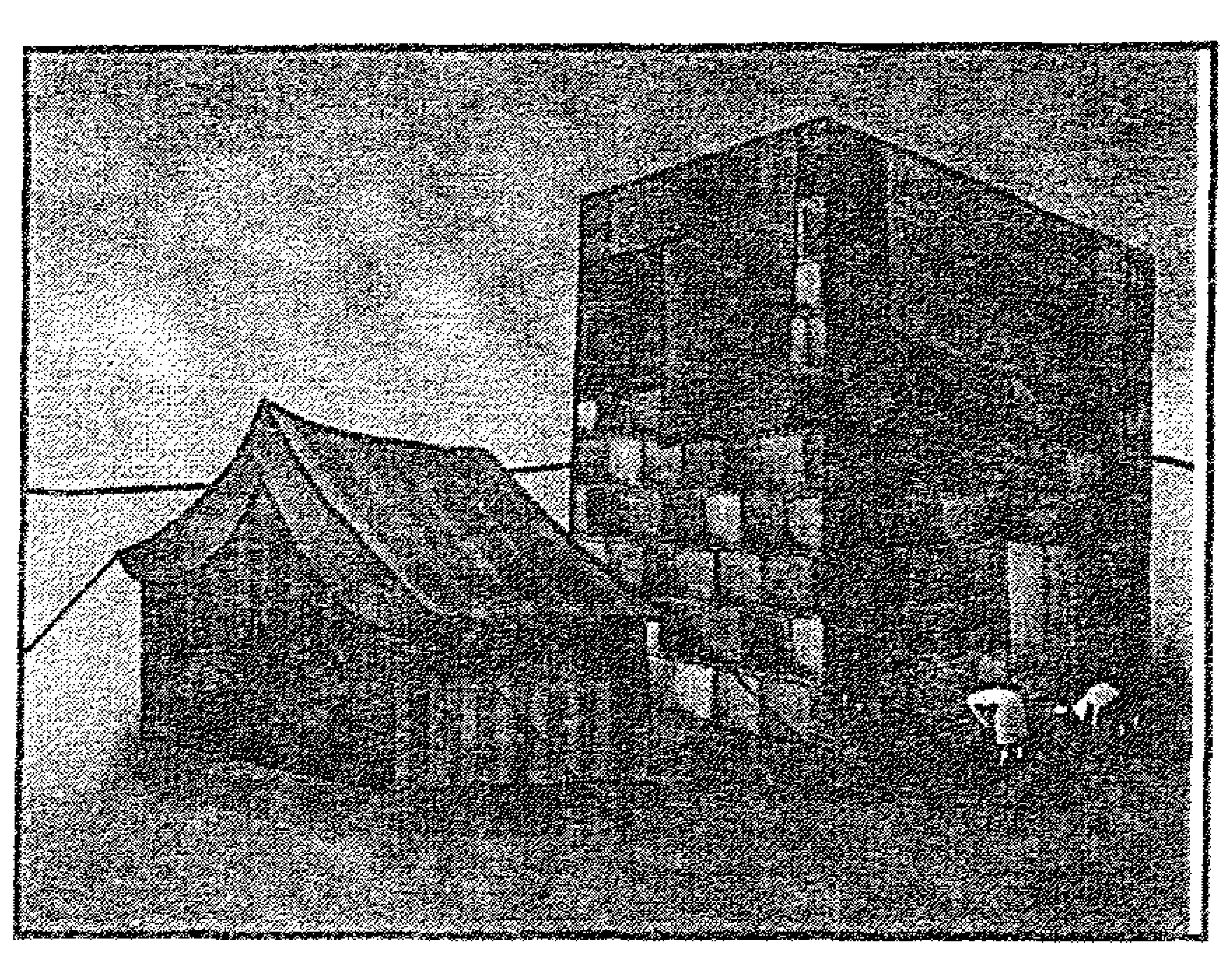
قال: أنزل عليه ﴿وَالْعَصْرِ ۝١ إِنَّ الإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ ۝٢ إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ قال: ففكر مسيلمة ساعة ثم رفع رأسه فقال: ولقد أنزل علىّ مثلها، فقال له عمرو: وما هى؟ فقال مسيلمة: يا وبر يا وبر، إنما أنت إيراد وصدر، وسائرك حفر نقر. ثم قال: كيف ترى يا عمرو؟ فقال له عمرو: والله إنك لتعلم أنى أعلم أنك تكذب.

وذكر علماء التاريخ أنه كان يتشبه بالنبى ﷺ، بلغه أن رسول الله ﷺ بصق فى بئر فغزر ماؤه، فبصق فى بئر ففاض ماؤه بالكلية: وفى أخرى فصار ماؤه أُجَاجاً (أى مالحاً لا يُشْرَب)، وتوضأ وسقى بوضوئه نخلاً فيبست وهلكت، وأتى بولدان يُبـرِّك فجعل يمسح رؤوسهم فمنهم مَنْ قرع رأسه، ومنهم مَنْ لثغ لسانه، ويقال: إنه دعا لرجل أصابه وجع فى عينيه فمسحهما فعمى.[1]

---

(١) البداية والنهاية جـ ٦/ ٣٥٩.

قبَّة على قدْر الكعبة



ذكر ابن كثير عن فجور الوليد بن يزيد الذى بويع له بالخلافة يوم مات عمه هشام بن عبد الملك يوم الأربعاء لست خلون من ربيع الآخر سنة ١٢٥ هـ فقال: لما ولى هشام أكرم ابن أخيه الوليد حتى ظهر عليه أمر الشراب وخلطاء السوء ومجالس اللهو، فأراد هشام أن يقطع ذلك عنه فأمَّرَهُ على الحج... فأخذ معه كلاب الصيد خفية من عمه، حتى يقال إنه جعلها فى صناديق فسقط منها صندوق فيه كلب فسمع صوته فأحالوا ذلك على الجَمَّال فَضُربَ على ذلك. قالوا: واصطنع الوليد قُبَّة على قَدْر الكعبة، ومن عزمه أن ينصب تلك القبة فوق سطح الكعبة ويجلس هو وأصحابه هنالك، واستصحب معه الخمور وآلات الملاهى وغير ذلك من المنكرات، فلما وصل إلى مكة هاب أن يفعل ما كان قد عزم عليه، من الجلوس فوق ظهر الكعبة خوفاً من الناس ومن إنكارهم عليه ذلك.(١)

فجور الحَلاج

ترجم ابن كثير للحلاج الذى قُتِل سنة ٣٠٩ هـ فقال عنه: ونحن نعوذ بالله أن نقول عليه ما لم يكن قاله، أو نتحمل عليه فى أقواله وأفعاله... وهو الحسين بن منصور بن محمى الحلاج أبو مغيث، ولم يزل الناس منذ قُتِل الحلاج مختلفين فى أمره، فأما الفقهاء فحكى عن غير واحد من العلماء والأئمة إجماعهم على

(١) المصدر السابق جـ ١٠/ ١.



قتله، وأنه قُتِل كافراً ممخرقاً مموهاً مشعبذاً، وبهذا قال أكثر الصوفية فيه. ومنهم طائفة أجملوا القول فيه، وغَرَّهم ظاهره ولم يطّلعوا على باطنه ولا باطن قوله، فإنه كان فى ابتداء أمره فيه تعبد وتأله وسلوك، ولكن لم يكن له علم ولا بنى أمره وحاله على تقوى من الله ورضوان. فلهذا كان ما يفسده أكثر مما يصلحه. (ومن مواقف فجوره):

* مما يدل على أنه كان ذا حلول فى بدء أمره أشياء كثيرة منها شعره فى ذلك فمن ذلك قوله (عن الله فى خطابه):

مُزِجتْ روحكَ فى روحى كما تُمزَجُ الخمرةُ بالماء الزُّلالِ

فإذا مَسَّكَ شئ مسَّنى فإذا أنتَ أنا فى كل حالِ.

* وقال أبو عبد الرحمن السلمى عن عمرو بن عثمان المكى أنه قال: كنت أماشى الحلاج فى بعض أزقة مكة وكنت أقرأ القرآن فسمع قراءتى فقال: يمكننى أن أقول مثل هذا، ففارقته.

وذكر أبو القاسم القشيرى فى رسالته فى باب حفظ قلوب المشايخ: أن عمرو بن عثمان دخل على الحلاج وهو بمكة وهو يكتب شيئاً فى أوراق فقال له: ما هذا؟ فقال: هو ذا أُعَارِض القرآن. قال: فدعا عليه فلم يُفلح بعدها.

* ولما كان آخر مجلس من مجالسه أحضر القاضى أبو عمر بن يوسف وجئ بالحلاج وقد أحضر له كتاب من دور بعض أصحابه وفيه: مَنْ أراد الحج ولم يتسير له فليبن فى داره بيتاً لا يناله شئ من النجاسة ولا يُمَكِّن أحداً من دخوله، فإذا كان فى أيام الحج فليصم ثلاثة أيام وليطف به كما يطاف بالكعبة ثم يفعل فى داره ما يفعله الحجيج بمكة، ثم يستدعى بثلاثين يتيماً فيطعمهم من طعامه، ويتولى خدمتهم بنفسه، ثم يكسوهم قميصاً قميصاً، ويعطى كل واحد منهم سبعة دراهم - أو قال ثلاثة دراهم - فإذا فعل ذلك قام له مقام الحج. وإن مَنْ صام ثلاثة أيام لا يفطر إلا فى اليوم الرابع على ورقات هندبا أجزاه ذلك عن صيام رمضان. ومَنْ صلى فى ليلة ركعتين من أول الليل إلى آخره أجزاه ذلك عن الصلاة بعد



ذلك. وأن مَن جاور بمقابر الشهداء وبمقابر قريش عشرة أيام يصلى ويدعو ويصوم ثم لا يفطر إلا على شئ من خبز الشعير والملح الجريش أغناه ذلك عن العبادة فى بقية عمره.

فقال له القاضى أبو عمر: من أين لك هذا؟ فقال: من كتاب الإخلاص للحسن البصرى. فقال له: كذبت يا حلال الدم، قد سمعنا كتاب الإخلاص للحسن بمكة ليس فيه شئ من هذا.

* أُحْضِرَت زوجة ابنه سليمان فذكرت عنه فضائح كثيرة. من ذلك أنه أراد يغشاها وهى نائمة فانتبهت فقال: قومى إلى الصلاة، وإنما كان يريد أن يطأها. وأمر ابنتها بالسجود له فقالت: أوَ يسجد بشر لبشر؟ فقال: نعم إله فى السماء وإله فى الأرض.(١)

فجور فى شهر رمضان

* روى ابن كثير من وقائع سنة ٦٧٤ هـ هذا الحادث العجيب فقال: وفيها فى رمضان منها وُجِدَ رجل وامرأة فى نهار رمضان على فاحشة الزنا، فأمر علاء الدين صاحب الديوان برجمهما فرجما، ولم يُرجم ببغداد قبلهما قط أحد منذ بنيت، وهذا غريب جداً.(٢)

* وفى رمضان سنة ٦٨٧ هـ: روى ابن كثير هذا الحادث فقال: وفى شهر رمضان كُبِسَ نصرانى وعنده مسلمة وهما يشربان الخمر فى نهار رمضان، فأمر نائب السلطَنة حسام الدين لاجين بتحريق النصرانى فبذل فى نفسه أموالاً جزيلة (لفدائها) فلم يُقْبَل منه، وأحرق بسوق الخيل،... وأما المرأة فَجُلِدَت الحدّ.(٣)

---

(١) المصدر السابق جـ ١١/ ١٥٢. وهناك أخبار كثيرة عن هذا الفاجر فليرجع إليها مَنْ أراد.

(٢) نفس المصدر جـ ١٣/ ٣١٥.   (٣) جـ ١٣/ ٣٦٧.





فرح المأمون وبوران

روى ابن كثير من وقائع سنة ٢٧٢ هـ عن الإسراف والبذخ فى زواج المأمون من بوران التى توفيت هذا العام فقال عنها: بوران زوجة المأمون. ويقال إن اسمها خديجة وبوران لقب لها، والصحيح الأول.

عقد عليها المأمون بفم الصلح سنة ست ومائتين، ولها عشر سنين (وبنى بها بعدها بعشر سنوات)، ونثر عليها أبوها يومئذ وعلى الناس بنادق المِسْك (والبُنْدُق هو الجُلوزُ وهو نَبَتٌ له حَبٌ إلى الطُول ويؤكل مُخُه شبه الفُسْتق/ اللسان) مكتوب فى كل ورقة وسط كل بندقة اسم قرية أو مِلْك جارية أو غلام أو فرس، فمَنْ وصل إليه من ذلك شئ مَلَكَهُ، ونثر ذلك على عامة الناس، ونثر الدنانير ونوافج المسك وبيض العنبر. وأنفق على المأمون وعسكره مدة إقامته تلك الأيام خمسين ألف ألف درهم. فلما ترحل المأمون عنه أطلق له عشرة آلاف ألف درهم وأقطعه فم الصلح. وبنى بها فى سنة عشر. فلما جلس المأمون فرشوا له حصراً من ذهب ونثروا على قدميه ألف حبة جوهر، وهناك تور من ذهب فيه شمعة من عنبر زنة أربعين مناً من عنبر، فقال: هذا سَرَف، ونظر إلى ذلك الحَبّ على الحصر يضئ فقال: قاتل الله أبا نواس حيث يقول فى صفة الخمر:

كأنّ صغْرى وكبرى مِنْ فقاقعِها ... حَصْبَاءُ درٍ على أرضٍ من الذّهبِ

ثم أمر بالدر فجُمِعَ فجُعِلَ فى حجر العروس وقال: هذا نحلة منى لكِ (أى



هدية)، وسلى حاجتك. فقالت لها جدتها: سلى سيدك فقد استطلقك. فقالت: أسأل أمير المؤمنين أن يرضى عن إبراهيم بن المهدى فرضى عنه(١)

جهاز قطر النَّدَى

روى ابن كثير من وقائع سنة ٢٨١ هـ فقال: وفيها وصلت قطر الندى بنت خمارويه سلطان الديار المصرية إلى بغداد فى تجمل عظيم ومعها من الجهاز شئ كثير حتى قيل إنه كان فى الجهاز مائة هاوون من ذهب غير الفضة وما يتبع ذلك من القماش وغير ذلك مما لا يحصى، ثم بعد كل حساب أرسل معها أبوها ألف ألف دينار وخمسين ألف دينار لتشترى بها من العراق ما قد تحتاج إليه مما ليس بمصر مثله.(٢)

جهاز ابنة السلطان ملكشاه

روى لنا ابن كثير من وقائع سنة ٤٨٠ هـ عن هذا الجهاز العجيب فقال: فى المحرم منها نقل جهاز ابنة السلطان ملكشاه إلى دار الخلافة على مائة وثلاثين جملاً مجللة بالديباج الرومى، غالبها أوانى الذهب والفضة، وعلى أربع وسبعين بغلة مجللة بأنواع الديباج الملكى وأجراسها وقلائدها من الذهب والفضة، وكان على ستة منها اثنا عشر صندوقاً من الفضة، فيها أنواع الجواهر والحلى، وبين يدى البغال ثلاث وثلاثون فرساً عليها مراكب الذهب، مرصعة بالجواهر، ومهد عظيم مجلل بالديباج الملكى عليه صفائح الذهب مُرصَّع بالجَوْهر، وبعث الخليفة لتلقيهم الوزير أبا شجاع، وبين يديه نحو من ثلاثمائة موكبية غير المشاعل لخدمة الست خاتون امرأة السلطان تركان خاتون، حماة الخليفة، وسألها أن تحمل الوديعة الشريفة إلى دار الخليفة، فأجابت إلى ذلك، فحضر الوزير نظام الملك

---

(١) المصدر السابق جـ ١١/ ٥٨.

(٢) نفس المصدر جـ ١١/ ٨١.



وأعيان الأمراء وبين أيديهم من الشموع والمشاعل ما لا يحصى، وجاءت نساء الأمراء كل واحدة منهن فى جماعتها وجواريها، وبين أيديهن الشموع والمشاعل، ثم جاءت الخاتون ابنة السلطان زوجة الخليفة بعد الجميع، فى مَحَفَّةٍ مجللة، وعليها من الذهب والجواهر ما لا تحصى قيمته، وقد أحاط بالمحفة مائتا جارية تركية، بالمراكب المزينة العجيبة مما يبهرن الأبصار، فدخلت دار الخلافة على هذه الصفة وقد زين الحريم الطاهر وأشعلت فيه الشموع، وكانت ليلة مشهودة للخليفة، هائلة جداً، فلما كان من الغد أحضر الخليفة أمراء السلطان ومد سماطاً لم ير مثله، عمَّ الحاضرين والغائبين، وخَلَعَ على الخاتون زوجة السلطان أم العروس (وخلع أى قَدَّم هدايا)، وكان أيضاً يوماً مشهوداً!!(١)

* * *

إلى هذه الدرجة كان الإسراف والبذخ من دماء الشعب.. وهل يجوز للوالى أن يتصرف فى المال العام كتصرفه فى ماله الشخصى؟ الإسلام يرفض هذا الإسراف الذى يؤثر فى اقتصاد الدول وكم قرأنا وسمعنا ـ قديماً وحديثاً ـ عن زيجات أثرت سلباً فى بيت المال وعرَّضَت الدول للضعف أمام عدوها حتى أصبح فريسة سهلة. جاء فى رسالة «ثلاثة أعراس أَوْدَت بالخزانة إلى الإفلاس» للدكتور محمد أحمد الحفنى. الحديث عن زواج قطر الندى بالمعتضد، وزواج بوران بالمأمون، وزواج بنات أولاد الخديوى إسماعيل. وذكر مظاهر الإسراف... وقد أعقب الأعراس إفلاس خزائن الدولة فى العالم العربى وعجزها عن الاستعداد وتجهيز الجيوش مما أدّى فى القديم إلى هجوم الصليبيين والتتار على العالم العربى. وفى التاريخ الحديث إلى تدخل الانجليز فى مصر واستيلائهم عليها.(٢) وديننا الحنيف يرفض هذا البذخ وهذه المغالاة، وممن فُقِه دينه وحافظ على المال العام عمر بن عبد العزيز الخليفة الخامس الراشد مجدد القرن الأول الهجرى.

---

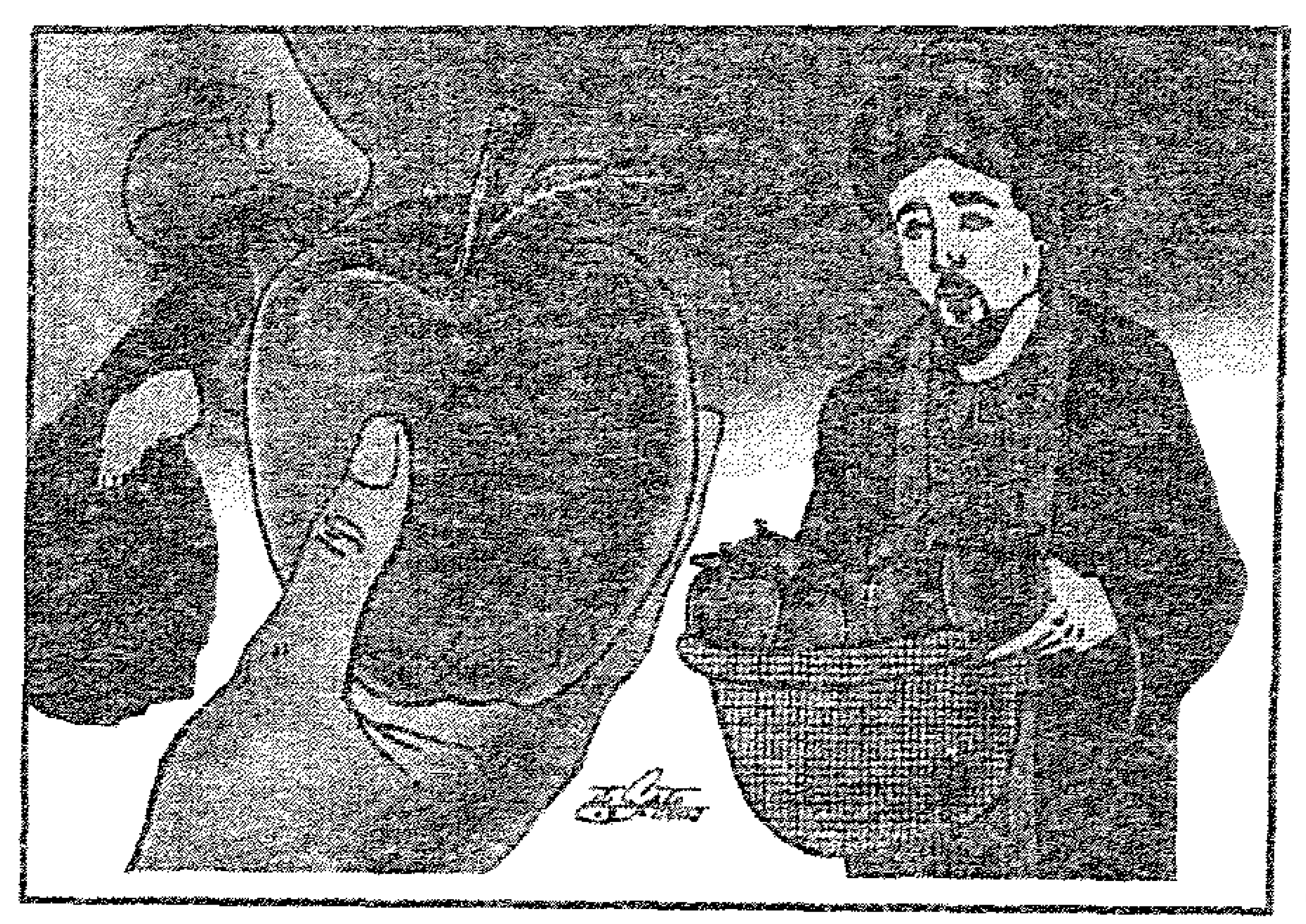
(١) البداية والنهاية جـ ١٢/ ١٦٢.

(٢) نقلا من كتاب: تحفة العروس ص ٨٤ لمحمود مهدى استانبولى.



ومِمَّن أنفق على إخوانه فى وجوه الخير عبد الله بن المبارك فهيا نقتطف من عبيرهما ما تنتشى له القلوب وينسينا هؤلاء الذين تلاعبوا بقوت الشعوب ودمروها من أجل شهواتهم ومنافعهم الخاصة.

بدائع عمر بن عبد العزيز رحمه الله



* قالت زوجته فاطمة: دخلت يوماً عليه وهو جالس فى مصلاه واضعاً خده على يده ودموعه تسيل على خديه، فقلت: مالك؟ فقال: ويحك يا فاطمة، قد وليتُ من أمر هذه الأمة ما وليت، فتفكرت فى الفقير الجائع، والمريض الضائع، والعارى المجهود، واليتيم المكسور، والأرملة الوحيدة والمظلوم المقهور، والغريب والأسير، والشيخ الكبير، وذى العيال الكثير، والمال القليل، وأشباههم فى أقطار الأرض وأطراف البلاد، فعلمتُ أن ربى عز وجل سيسألنى عنهم يوم القيامة، وأن خصمى دونهم محمد ﷺ فخشيت أن لا يثبت لى حجة عند خصومته، فرحمتُ نفسى فبكيت.

* قالوا: وبعث يوماً غلامه ليشوى له لحما فجاءه بها سريعاً مشوية، فقال: أين شويتها؟ قال: فى المطبخ.

فقال: فى مطبخ المسلمين؟ قال: نعم. فقال: كُلْهَا فإنى لم أُرْزَقها، هى رزقك؟

* وسخنوا له الماء فى المطبخ العام فردَّ بدل ذلك بدرهم حطباً.

* قالوا: وكان له سراج يكتب عليه حوائجه، وسراج لبيت المال يكتب عليه



مصالح المسلمين، لا يكتب على ضوئه لنفسه حرفاً.

* أهدى له رجل من أهل بيته تفاحاً فاشتمه ثم رده مع الرسول، وقال له: قل له قد بلغت محلها.

فقال له رجل: يا أمير المؤمنين إن رسول الله ﷺ كان يقبل الهدية، وهذا رجل من أهل بيتك، فقال: إن الهدية كانت لرسول الله ﷺ هدية، فأما نحن فهى لنا رشوة.

* قالوا: وكان يوسِّع على عماله فى النفقة، يعطى الرجل منهم فى الشهر مائة دينار، ومائتى دينار، وكان يتأوَّل أنهم إذا كانوا فى كفاية تفرغوا لأشغال المسلمين، فقالوا له: لو أنفقت على عيالك كما تنفق على عمالك؟ فقال: لا أمنعهم حقاً لهم، ولا أعطيهم حق غيرهم.

* كان دَخْلُه قبل أن يلى الخلافة فى كل سنة أربعين ألف دينار، فترك ذلك كله حتى لم يبق له دخل سوى أربعمائة دينار فى كل سنة.. ويقال إنه ردَّ جهاز فاطمة زوجته إلى بيت المال بعد الخلافة. وكان قبل الخلافة يُؤْتَى بالقميص الرفيع اللين جداً فيقول: ما أحسنه لولا خشونة فيه، فلما ولى الخلافة كان بعد ذلك يلبس القميص الغليظ المرقوع ولا يغسله حتى يتسخ جداً، ويقول: ما أحسنه لولا لينه.(1)

* * *

فأين هذا كله مِمَّن يفرحون بالمناصب ويحرصون عليها من أجل منفعتهم الشخصية ومنفعة من يَودُّون من أهل الدنيا..؟! لقد قرأنا وسمعنا عَمَّن يرشحون أنفسهم لعضوية مجلس الشعب أو الشورى أنهم ينفقون أموالاً طائلة على الدعاية حتى نتساءل: إذا كانت عندهم كل هذه الأموال التى يوزعون بعضها على الناس ليشتروا أصواتهم فلماذا لم يكتفوا بها؟!! فردَّ البعض: ستعود أضعافها بخلاف الوجاهة والمكانة والمنصب والحصانة. ومن المؤسف أننا شاهدنا بعض هؤلاء إذا فازوا بالعضوية تملصوا من الناس وانشغلوا بمآربهم الشخصية.. فمتى يكون فينا أشباه عمر..؟!! نريد بعضَهُ أو بعضَ بَعْضِهِ لنتنسم روح الشريعة!

---

(1) انظر هذه الأخبار وغيرها فى البداية والنهاية بتصرف جـ ٩/ ٢١٧ وما بعدها.



بدائع عبد الله بن المبارك

روى عنه ابن كثير فى وفيات سنة ١٨١ هـ فقال:... وكان له رأس مال نحو أربعمائة ألف يدور يتجر به فى البلدان، فحيث اجتمع بعَالِم أحسن إليه، وكان يربو كسبه فى كل سنة على مائة ألف ينفقها كلها فى أهل العبادة والزهد والعلم، وربما أنفق من رأس ماله.

* قال سفيان بن عيينة: نظرت فى أمره وأمر الصحابة فما رأيتهم يفضلون عليه إلا فى صحبتهم رسول الله ﷺ. وقال إسماعيل بن عياش: ما على وجه الأرض مثله، وما أعلم خصلة من الخير إلا وقد جعلها الله فى ابن المبارك، ولقد حدثنى أصحابى أنهم صحبوه من مصر إلى مكة فكان يطعمهم الخبيص (حلواء/ اللسان) وهو الدهر صائم.

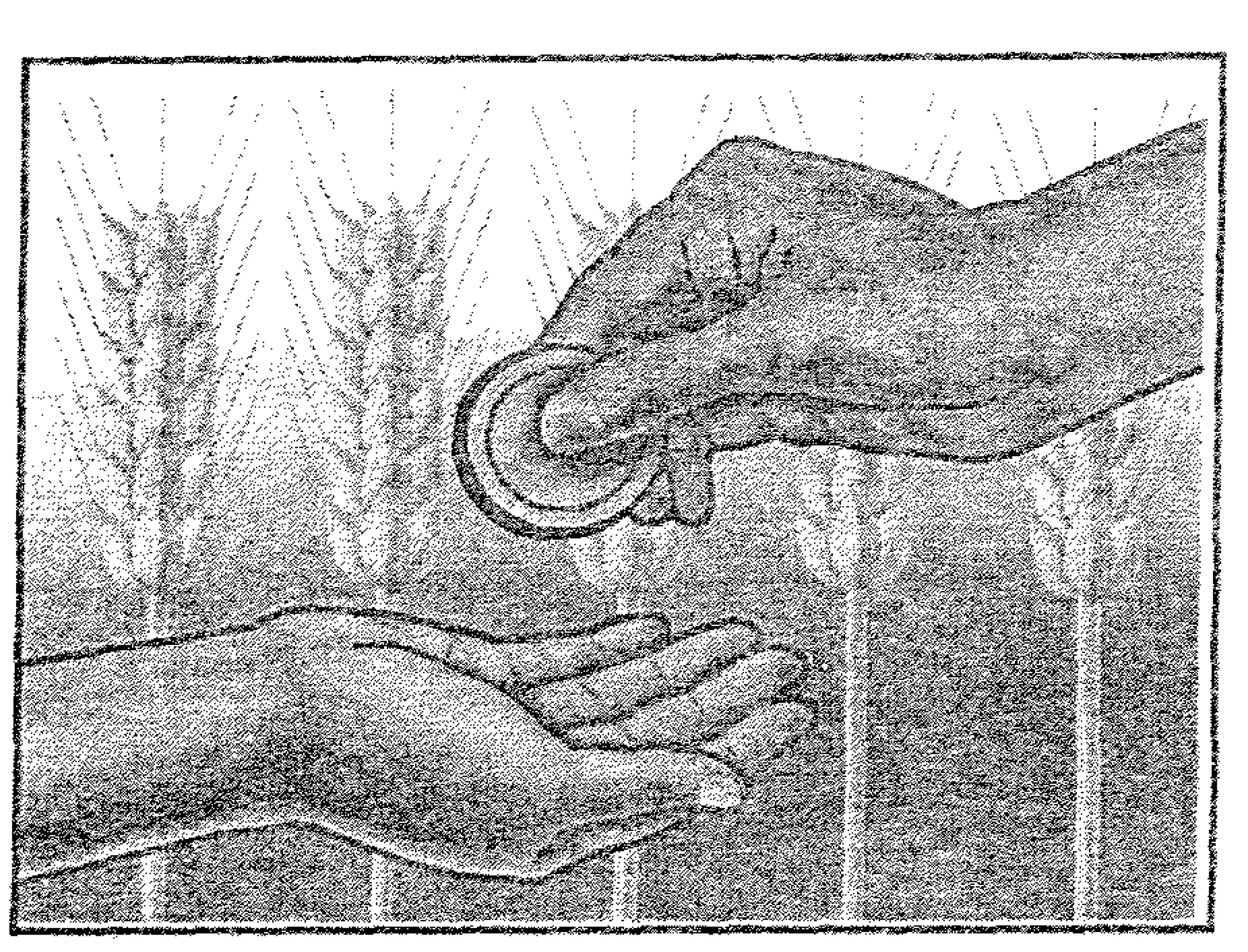
* خرج مرة إلى الحج فاجتاز ببعض البلاد فمات طائر معهم فأمر بإلقائه على مزبلة هناك، وسار أصحابه أمامه وتخلف هو وراءهم، فلما مر بالمزبلة إذا جارية قد خرجت من دار قريبة منها فأخذت ذلك الطائر الميت ثم لفَّتْه ثم أسرعت به إلي الدار، فجاء فسألها عن أمرها وأخذها الميتة، فقالت: أنا وأخى هنا ليس لنا شئ إلا هذا الإزار، وليس لنا قوت إلا ما يُلقى على هذه المزبلة، وقد حَلَّت لنا الميتة منذ أيام، وكان أبونا له مال فَظُلِمَ وأُخِذَ ماله وقُتِل. فأمر ابن المبارك بردّ الأحمال وقال لوكيله: كم معك من النفقة؟ قال: ألف دينار. فقال: عِدّ منها عشرين ديناراً تكفينا إلى مرو وأعطها الباقى. فهذا أفضل من حجنا فى هذا العام، ثم رجع.

* وكان إذا عزم على الحج يقول لأصحابه: مَنْ منكم عزم فى هذا العام على الحج فليأتنى بنفقته حتى أكون أنا أنفق عليه، فكان يأخذ منهم نفقاتهم ويكتب على كل صرّة اسم صاحبها ويجمعها فى صندوق، ثم يخرج بهم فى أوسع ما يكون من النفقات والركوب، وحسن الخلق والتيسير عليهم، فإذا قضوا حِجَّتهم فيقول لهم: هل أوصاكم أهلوكم بهدية، فيشترى لكل واحد منهم ما وصاه أهله من



الهدايا المكيّة واليمنية وغيرها، فإذا جاؤوا إلى المدينة اشترى لهم منها الهدايا المدنية، فإذا رجعوا إلى بلادهم بعث من أثناء الطريق إلى بيوتهم فأصلحت وبُيِّضَت أبوابها ورمَّمَ شعثها، فإذا وصلوا إلى البلد عَمِل وليمة بعد قدومهم ودعاهم فأكلوا وكساهم، ثم دعا بذلك الصندوق ففتحه وأخرج منه تلك الصرر ثم يُقْسِمُ عليهم أن يأخذ كل واحد نفقته التى عليها اسمه، فيأخذونها وينصرفون إلى منازلهم وهم شاكرون ناشرون لواء الثناء الجميل!!

* وكانت سفرته تُحْمَل على بعير وحدها، وفيها من أنواع المأكول من اللحم والدجاج والحلوى وغير ذلك، ثم يطعم الناس وهو الدهر صائم فى الحر الشديد!!



* وسأله مرة سائل فأعطاه درهماً فقال له بعض أصحابه: إن هؤلاء يأكلون الشواء والفالوذج، وقد كان يكفيه قطعة فقال: والله ما ظننت أنه يأكل إلا البقل والخبز، فأما إذا كان يأكل الفالوذج والشواء فإنه لا يكفيه الدرهم. ثم أمر بعض غلمانه فقال: رُدَّه وادفع إليه عشرة دراهم.(١)

***

تُرى هل يُعَدُّ ابن المبارك من المسرفين؟!! إن بعض الناس - وخصوصا الأغنياء منهم - قد يعدون ذلك سرفاً وسفها، وذلك أننا أصبحنا الآن فى مجتمع لا يُلام المرء فيه علي بخله، وأصبح الواحد فينا يبخل ويأمر الناس بالبخل، فالعطاء ثقيل عليه حتى لو كان يخرج من مال غيره. وقد كانوا قديماً يلامون على كثرة إنفاقهم.. والرد على ذلك قد جاء فى القرطبى فى تفسير الآية ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا

---

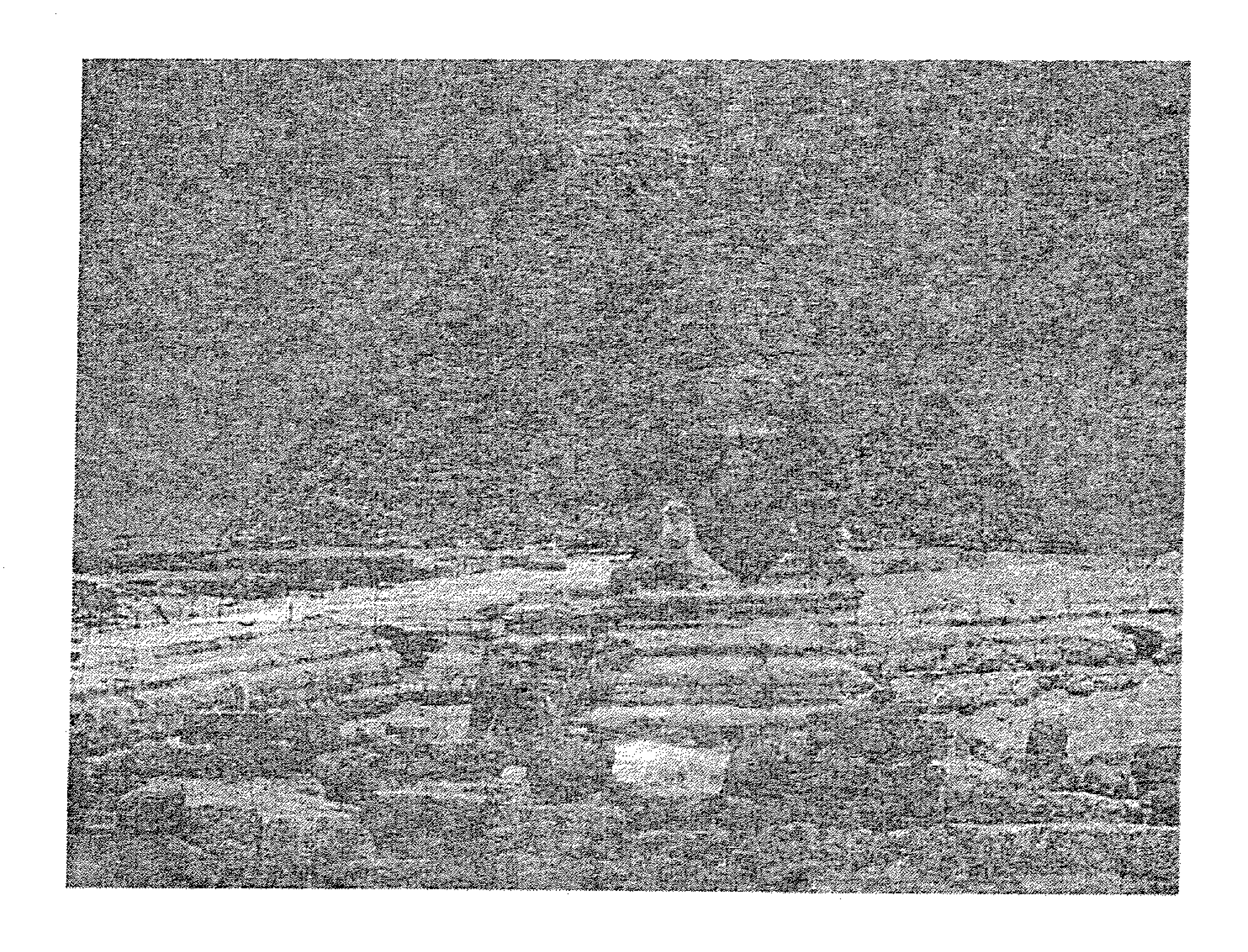
(١) المصدر السابق جـ ١٠/ ١٩١، ١٩٢.



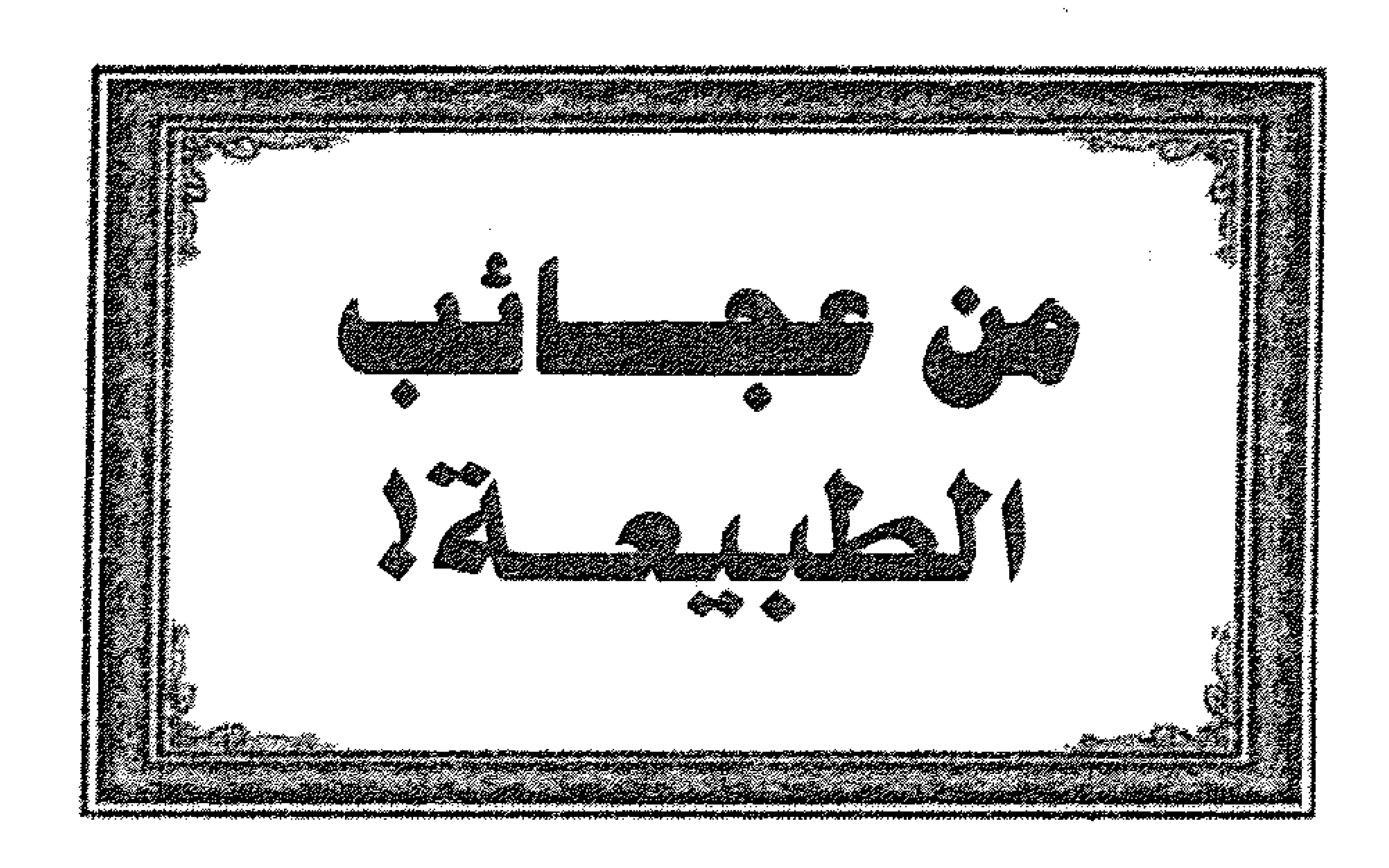
لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا﴾ (سورة الفرقان: الآية ٦٧). قال ابن عباس: مَنْ أنفق مائة ألف فى حق فليس بسرف، ومَنْ أنفق درهماً فى غير حقه فهو سرف، ومن منع من حق عليه فقد قتر.

وقال عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه عن السرف: كفى بالمرء سرفاً ألا يشتهى شيئًا إلا اشتراه فأكله.

وهكذا يتبين لنا من حياة وأقوال هؤلاء العظام ما هو السرف!!







من عجائب الطبيعة!

لا تدوم الطبيعة على حال، ولا يبقى صفاؤها، ولكن بين الحين والآخر تكشر عن أنيابها، فالمؤمنون يتعظون ويجأرون إلى الله تعالى ليُزيل الكرب عنهم، والغافلون يتحدثون عن الحدث وينسون المحدث، وكلٌ يعمل على شاكلته. ونحن لا ننسب الأمور للطبيعة ونعتقد فيها، ولكننا ننظر إلى يد الله تعالى تعمل في الكون. فهو حى قيوم على خلقه لا يغفل ولا ينام.

وقد روى لنا ابن كثير طائفة من هذه العجائب منها:

* ما وقع فى سنة ٢٨٤ هـ: فى ربيع الآخر منها ظهرت بمصر ظُلّمة شديدة وحُمرة فى الأفق حتى كان الرجل ينظر إلى وجه صاحبه فيراه أحمر اللون جداً. وكذلك الجدران، فمكثوا كذلك من العصر إلى الليل.

ثم خرجوا إلى الصحراء يدعون الله ويتضرعون حتى كشف عنهم(١).

* فى سنة ٣١٠ هـ: فى جمادى الآخرة منها ظهر كوكب له ذَنَب طوله ذراعان فى برج السنبلة... وفيها ورد الخبر بأنه انشق بأرض واسط فلوع فى الأرض (أى كسر وشرخ / اللسان) فى سبعة عشر موضعاً أكبرها طوله ألف ذراع، وأقلها مائتا ذراع، وأنه غرق من أمهات القرى ألف وثلثمائة قرية.(٢)

* فى سنة ٥٤٩ هـ، قال ابن كثير: وفيها هاجت ريح شديدة بعد العشاء فيها نار فخاف الناس أن تكون الساعة، وزلزلت الأرض وتغير ماء دجلة إلى الحمرة،

---

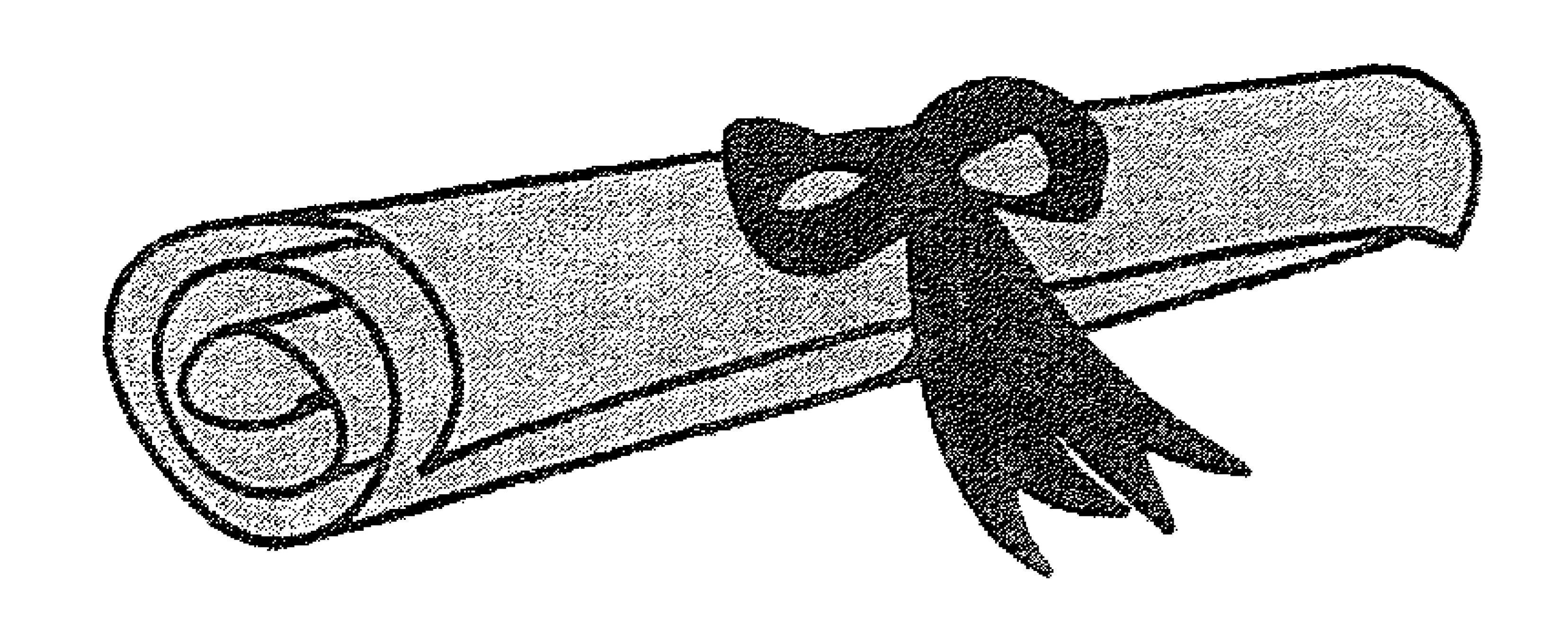
(١) البداية والنهاية جـ ١١ / ٨٧.   (٢) نفس المصدر جـ ١١ / ١٦٥.



وظهر بأرض واسط بالأرض دم لا يعرف ما سببه.(١)

* وفى سنة ٦٨٥ هـ روى ابن كثير فقال: وكتب الأمير بدر الدين بكتوت العلائى وهو مجرد بحمص إلى نائب دمشق لاجين، أنه قد انعقدت زوبعة فى يوم الخميس سابع صفر بأرض حمص ثم ارتفعت فى السماء كهيئة العمود والحية العظيمة (ما نسميها حديثاً: عاصفة) وجعلت تختطف الحجارة الكبار، ثم تصعد بها فى الجو كأنها سهام النشاب وحملت شيئاً كثيراً من الجمال بأحمالها، والآثاث والخيام والدواب، ففقد الناس من ذلك شيئاً كثيراً، فإنا لله وإنا إليه راجعون. وفى هذا اليوم وقع مطر عظيم فى دمشق وجاء سيل كثير ولاسيما فى الصالحية.(٢)

* فى سنة ٧٠١ هـ حكى ابن كثير عن البرزالى فى تاريخه قال: وفى وسط شهر ربيع الأول ورد كتاب من بلاد حماة من جهة قاضيها يخبر فيه أنه وقع فى هذه الأيام ببارين من عمل حماة بَرَد كبار على صور حيوانات مختلفة شتى، سباع وعقارب وحيات وطيور ومعز ونساء، ورجال فى أوساطهن حوائص (أى سيُور فى الأحْزِمَة) وأن ذلك ثبت بمحضر عند قاضى الناحية، ثم نقل ثبوته إلى قاضى حماة.(٣)



(١) المصدر السابق جـ ١٢/ ٢٨٩.

(٢) نفس المصدر جـ ١٣ / ٣٦١.

(٣) نفس المصدر جـ ١٤/ ٢١.





من عجائب البغى والعدوان

مذبحة الحُجَّاج

روى ابن كثير من وقائع سنة ٢٩٤ هـ فقال: فى المحرم من هذه السنة اعترض زكرويه فى أصحابه إلى الحُجَّاج من أهل خراسان وهم قافلون (عائدون) من مكة فقتلهم عن آخرهم وأخذ أموالهم وسَبَى نساءهم فكان قيمة ما أخذه منهم ألفى ألف دينار، وعدة مَنْ قتل عشرين ألف إنسان، وكانت نساء القرامطة يطفن بين القتلى من الحجاج وفى أيديهن الآنية من الماء يزعمن أنهن يسقين الجريح العطشان، فمَنْ كلمهن من الجرحى قتلنه وأجهزن عليه، لعنهن الله ولعن أزواجهن.[1]

(وذكر ابن كثير بعدها خبراً يشفى صدورنا عن مقتل هؤلاء القرامطة وزعيمهم على يد جنود الخليفة)

(١) البداية والنهاية جـ ١١/ ١١٤.



مقتل رجل من آل البيت

من وقــائـع سنـة ٤٨٠ هـ روى ابن كثير فى وفياتها عن محمد بن محـمـد بن زيد بن على بن موسى بن جـعـفـر بن مـحـمـد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب، أبو الحسن الحسينى الملقب بالمرتضى ذى الشــرفين... وكــان يرجع إلى عقل كامل، وفضل ومروءة، وكانت له أموال جـزيلة، وأملاك متسعة، ونعمة وافرة، يقال إنه مَلَكَ أربعين قرية، وكان كثير الصدقة والبر والصلة للعلماء والفقراء، وبلغت زكاة ماله الصامت عشرة آلاف دينار غير العشور، وكان له بستان ليس لِمَلِك مثله، فطلبه منه ملك ما وراء النهر، واسمه الخضر بن إبراهيم، عارية ليتنزه فيه، فأبى عليه وقال: أُعِيرُه إياه ليشرب فيه الخمر بعدما كان مأوى أهل العلم والحديث والدين؟ فأعرض عنه السلطان وحقد عليه، ثم استدعاه إليه ليستشيره فى بعض الأمور على العادة، فلما حصل عنده قبض عليه وسجنه فى قلعته، واستحوذ على جميع أملاكه وحواصله وأمواله، وكان يقول: ما تحققت صحة نسبى إلا فى هذه المصَادَرَة: فإنى رُبِّيتُ فى النعيم فكنت أقول: إن مثلى لابد أن يُبتَلى، ثم منعوه الطعام والشراب حتى مات رحمه الله.(١)

بغى فى البيت الحرام

روى ابن كثير من وقائع سنة ٦١٩ هـ فقال: وحَجَّ فى هذه السنة مسعود بن أقسيس بن الكامل صاحب اليمن فبدت منه أفعال ناقصة بالحرم من سُكْر ورَشْق حمام المسجد بالبندق من أعلى قبة زمزم، وكان إذا نام فى دار الإمارة يضرب

(١) المصدر السابق جـ ١٢/ ١٦٤.



الطائفين بالمسعى بأطراف السيوف لئلا يشوشوا عليه وهو نوم سكر قبَّحَهُ الله.(١)

شاتم الصدّيق

من وقائع سنة ٧٥٥ هـ روى ابن كثير فقال: فى يوم الاثنين السادس عشر من جمادى الأولى اجتاز رجل من الروافض من أهل الحلة بجامع دمشق وهو يَسُبُّ أول مَنْ ظَلَمَ آل محمد، ويكرر ذلك لا يَفْتَر، ولم يصلّ مع الناس ولا صلى على الجنازة الحاضرة، على أن الناس فى الصلاة، وهو يكرر ذلك ويرفع صوته به، فلما فرغنا من الصلاة نَبَّهتُ عليه الناس فأخذوه وإذا قاضى القضاة الشافعى فى تلك الجنازة حاضر مع الناس. فجئت إليه واستطقته مَنْ الذى ظلم آل محمد؟

فقال: أبو بكر الصدّيق، ثم قال جَهْرَة والناس يسمعون: لعن الله أبا بكر وعمر وعثمان ومعاوية ويزيد، فأعاد ذلك مرتين، فأمر به الحاكم إلى السجن، ثم استحضره المالكى وجلده بالسياط، وهو مع ذلك يصرخ بالسبِّ واللعن والكلام الذى لا يصدر إلا عن شقى، واسم هذا اللعين على بن أبى الفضل بن محمد ابن حسين بن كثير قبحه الله وأخزاه، ثم لما كان يوم الخميس سابع عشرة عُقِدَ له مجلس بدار السعادة وحضر القضاة الأربعة وطُلِبَ إلى هنالك فقدَّر الله أن حكم نائب المالكى بقتله، فأُخِذَ سريعاً فضرب عنقه تحت القلعة وحرقه العامة وطافوا برأسه البلد ونادوا عليه هذا جزاء مَنْ سَبَّ أصحاب رسول الله ﷺ.(٢)

---

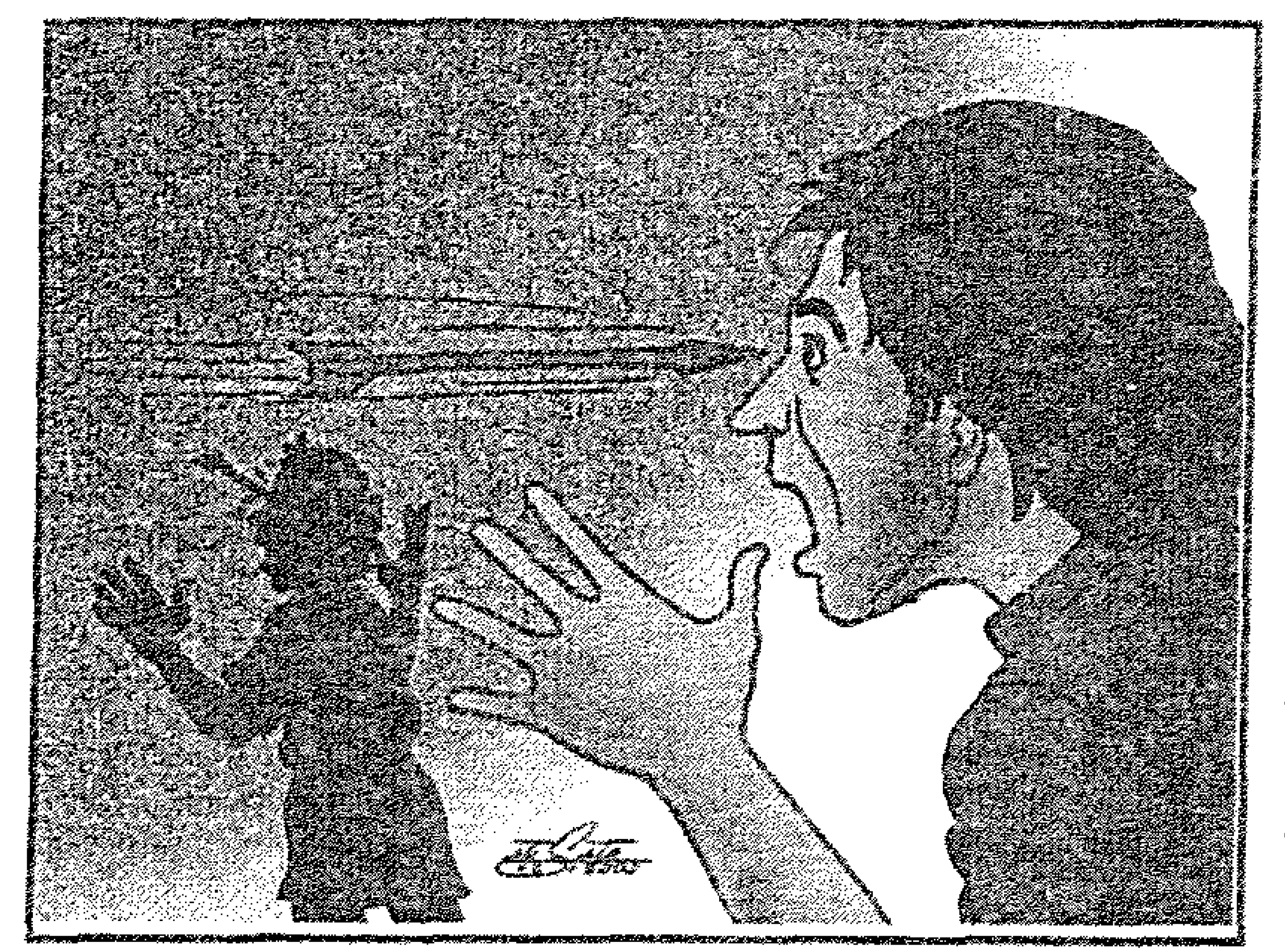
(١) المصدر السابق جـ ١٣/ ١٥٥.   (٢) المصدر السابق جـ ١٤/ ٢٨٧.





عجائب الشجاعة وأمور الحرب

موقعة ذات العيون



من وقائع سنة ١٢ هـ روى ابن كثير فقال: ركب خالد فى جيوشه فسار حتى انتهى إلى الأنبار وعليها رجل من أعقل الفرس وأسودهم فى أنفسهم، يقال له شيرزاذ، فأحاط بها خالد وعليها خندق وحوله أعراب من قومهم على دينهم، واجتمع معهم أهل أرضهم، فمانعوا خالداً أن يصل إلى الخندق... ولما تواجه الفريقان أمر خالد أصحابه فرشقوهم بالنبال حتى فقأوا منهم ألف عين، فتصايح الناس، ذهبت عيون أهل الأنبار، وسميت هذه (الموقعة) ذات العيون. فراسل شيرزاذ خالداً فى الصلح، فاشترط خالد أموراً امتنع شيرزاذ من قبولها، فتقدم خالد إلى الخندق فاستدعى برذايا الأموال من الإبل (لعله يقصد الضعاف العجاف) فذبحها حتى ردم الخندق بها وجاز هو وأصحابه فوقها، ذلك أجاب إلى الصلح على الشروط التى اشترطها خالد، وسأله أن يرده إلى مأمنه فَوَفَّى له خالد بذلك، وخرج شيرزاذ من الأنبار



وتسلمها خالد، فنزلها واطمأن بها، وتعلم الصحابة ممن بها من العرب الكتابة العربية، وكان أولئك العرب قد تعلموها من عرب قبلهم وهم بنو إياد، كانوا بها زمان بختنصر حين أباح العراق للعرب.(١)

هل سمعت بمعركة فُقأت فيها ألف عين؟!! هذا هو العجيب!! ويدل ذلك على مهارة الصحابة، وحيلة الجمال الهزيلة التى صنع خالد منها مَعْبَراً تدل على حنكته الحربية وذكائه وما أحرانا أن ندرس عبقرية خالد بن الوليد الحربية ـ رضي الله عنه. ففيها خير كثير يتعلمه القادة مع مراعاة فرق الزمان والمكان والإمكانيات فى زماننا وزمانه، ونتعلم أيضاً من الصحابة أن العدو لا يرضخ إلا بالقوة.. فشيرزاذ لم يستجب إلا بعد أن عَبَرَ له خالد وجنوده.. ونحن فى عصرنا لا حيلة لنا أمام اليهود لأننا ضعفاء بفرقتنا.. ولن يهابونا إلا بالقوة التى أمرنا الله أن نُعدها لهم، كما نتعلم أن الحكمة ضالة المؤمن أنَّى وجدها فهو أحق الناس بها ـ كما علمنا رسولنا الكريم ـ ولذلك تَعَلَّم الصحابة الكتابة العربية حين وجدوا الفرصة لذلك.

عجيبة فى التفاوض

قال ابن كثير: دخلت سنة ١٦ هـ وسعد بن أبى وقاص مُنَازِل مدينة نهرشير، وهى إحدى مدينتى كسرى مما يلى دجلة من الغرب... وامتنعت نهرشير من سعد أشد الامتناع... فحاصرهم أشد الحصار حتى أكلوا الكلاب والسنانير وقد أشرف رجل منهم على المسلمين فقال: يقول لكم الملك: هل لكم إلى المصالحة على أن لنا ما يلينا من دجلة إلى جبلنا، ولكم ما يليكم من دجلة إلى جبلكم؟ أما شبعتم؟ لا أشبع الله بطونكم قال: فبدر من الناس رجل يقال له أبو مقرن الأسود بن قطبة فأنطقه الله بكلام لم يدر ما قال لهم، قال: فرجع الرجل ورأيناهم يقطعون من نهرشير إلى المدائن (أى يهربون) فقال الناس لأبى مقرن: ما قلت لهم؟ فقال: والذى بعث محمداً بالحق ما أدرى ما قلت لهم إلا أن علىّ سكينة وأنا

(١) البداية والنهاية جـ ٦/ ٣٨٤.



أرجو أن أكون قد أُنطقتُ بالذى هو خير،... وكان فيمن سأله سعد بن أبى وقاص... فحلف أنه لا يدرى.. فنادى سعد فى الناس ونهد بهم إلى البلد والمجانيق تضرب فى البلد، فنادى رجل من البلد بالأمان فأمناه، فقال والله ما بالبلد أحد، فتسور الناس السور فما وجدنا فيها أحداً إلا قد هربوا إلى المدائن... فسألنا ذلك الرجل وأناساً من الأسارى فيها لأى شئ هربوا؟ قالوا بعث الملك إليكم يعرض عليكم الصلح فأجابه ذلك الرجل بأنه لا يكون بينكم وبينه صلح أبداً حتى نأكل عسل افريذين بأُتْرُجِّ كوثى.

فقال الملك: يا ويلاه إن الملائكة لتتكلم على ألسنتكم، ترد علينا وتجيبنا عن العرب، ثم أمر الناس بالرحيل من هناك إلى المدائن.(١)

على وجه الماء

فى نفس العام السابق روى ابن كثير أن سعداً وقف يخطب فى المسلمين على شاطئ دجلة... وكان مما قال:... إن عدوكم قد اعتصم منكم بهذا البحر فلا تَخْلُصُون إليهم معه، وهم يَخْلُصُون إليكم إذا شاءوا... وقد رأيت أن تبادروا جهاد العدو... ألا إنى قد عزمت على قطع هذا البحر إليهم. فقالوا جميعاً: عزم الله لنا ولك على الرشد فافعل. فعند ذلك ندب سعد الناس إلى العبور ويقول: مَنْ يبدأ فيحمى لنا الفِراض - يعنى ثغرة المخاضة من الناحية الأخرى - ليجوز الناس إليهم آمنين، فانتدب عاصم بن عمرو فوقفوا على حافة دجلة فقال عاصم: مَن ينتدب معى ليكون قبل الناس دخولاً فى هذا البحر... فانتدب له ستون من الشجعان - والأعاجم وقوفاً صفوفاً من الجانب الآخر - فتقدم رجل من المسلمين وقد أحجم (امتنع) الناس عن الخوض فى دجلة فقال: أتخافون من هذه النطفة؟ ثم تلا قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُّؤَجَّلاً﴾ (سورة آل عمران: الآية ١٤٥) ثم أقحم فرسه واقتحم الناس... وقد افترق الستون فرقتين... فلما رآهم الفرس يطفون على وجه الماء قالوا: ديوانا.. ديوانا (أى مجانين مجانين) ثم قالوا:

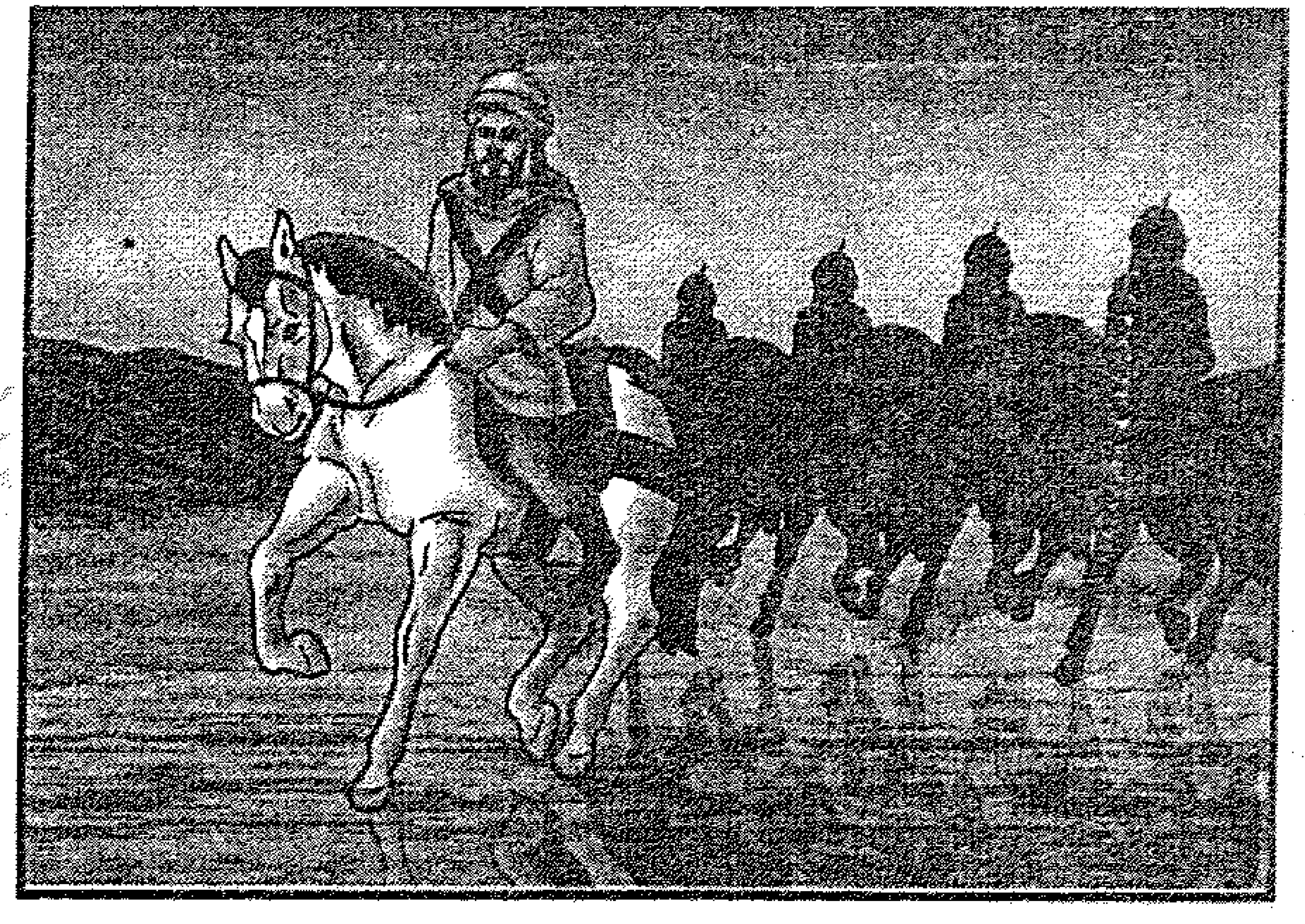
---

(١) المصدر السابق جـ ٧/ ٧٣.



والله ما تقاتلون إنساً بل تقاتلون جناً. ثم أرسلوا فرساناً منهم فى الماء يلتقون أول المسلمين ليمنعوهم من الخروج من الماء، فأمر عاصم أصحابه أن يشرعوا لهم الرماح ويتوخوا الأعين، ففعلوا ذلك بالفرس فقلعوا عيون خيولهم، فرجعوا أمام المسلمين... وخرج أصحاب عاصم من الماء... ونزل بقية أصحاب عاصم من الستمائة فى دجلة فخاضوها حتى وصلوا إلى أصحابهم من الجانب الآخر فقاتلوا مع أصحابهم حتى نفوا الفرس عن ذلك الجانب وكانوا يُسَمَّوْن كتيبة الأهوال والكتيبة الثانية والكتيبة الخرساء وأميرها القعقاع بن عمرو... ثم نزل سعد والمسلمون الماء وأمرهم أن يقولوا: نستعين بالله ونتوكل عليه، حسبنا الله ونعم الوكيل، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم... ثم اقتحم بفرسه دجلة واقتحم الناس لم يتخلف عنه أحد، فساروا فيها كأنما يسيرون على وجه الأرض حتى ملؤا ما بين الجانبين، فلا يُرَى وجه الماء من الفرسان والرَّجَّالة (أى مَنْ يمشون على أقدامهم)، وجعل الناس يتحدثون على وجه الماء كما يتحدثون على وجه الأرض، وذلك لما حصل لهم من الطمأنينة والأمن، والوثوق بأمر الله ووعده ونصره وتأييده.(١)

شجاعة ابن الزبير



فى وفيات سنة ٧٣ هـ روى ابن كثير فى ترجمة عبد الله بن الزبير - رضى الله عنهما - فقال:

* شَهِدَ (ابن الزبير) مع ابن أبى سرحٍ قتال البربر وكانوا فى عشرين ومائة ألف، والمسلمون عشرون ألفاً، فأحاطوا بهم من كل جانب،

---

(١) المصدر السابق جـ ٨ / ٣٦٩.



فمازال عبد الله بن الزبير يحتال حتى ركب فى ثلاثين فارساً، وسار نحو ملك البربر وهو منفرد وراء الجيش، وجواريه يظللنه بريش النعام، فساق حتى انتهى إليه والناس يظنون أنه ذاهب برسالة إلى الملك، فلما فهمه الملك ولَّى مدبراً فلحقه عبد الله فقتله واحتَزَّ رأسه وجعله فى رأس رمح وكبَّر وكبر المسلمون، وحملوا على البربر فهزموهم بين أيديهم فقتلوا منهم خلقًا كثيرًا وغنموا أموالاً وغنائم كثيرة جدًا!

* وقال أحمد بن أبى الحوارى: سمعت أبا سليمان الدارانى يقول: خرج ابن الزبير فى ليلة مقمرة على راحلة له فنزل فى تبوك فالتفت فإذا على الراحلة شيخ أبيض الرأس واللحية فشدّ عليه ابن الزبير فتنحى عنها فركب ابن الزبير راحلته ومضى، قال فناداه: والله يابن الزبير لو دخل قلبك الليلة منى شعرة (أى خوف) لخبلتك، قال: ومنك أنتَ يالعين يدخل قلبى شىء؟. وقد روى لهذه الحكاية شواهد من وجوه أخرى جيدة.

* روى عبد الله بن المبارك: عن إسحاق بن يحيى، عن عامر بن عبد الله ابن الزبير، قال: أقبل عبد الله بن الزبير من العمرة فى ركب من قريش فلما كانوا عند اليانصب (أجبل متحاذيات فى ديار بنى بكر أو بنى أسد بنجد، بينها وبين أضاخ أربعة أميال / معجم البلدان لياقوت الحموى). أبصروا رجلاً عند شجرة، فتقدمهم ابن الزبير، فلما انتهى إليه سَلَّم عليه فلم يتحرك له الرجل، فقال له ابن الزبير: تنحّ عن الظل، فانحاز متكارهًا، قال ابن الزبير: فجلست وأخذت بيده وقلت: مَنْ أنت؟ فقال: رجل من الجن، فما عدا أن قالها حتى قامت كل شعرة منى فاجتذبته وقلت: أنت رجل من الجن وتبدو إلىّ هكذا؟ وإذا له سفِلة (قوائم بعير / اللسان) وانكسر ونهرته (أى صاح فيه بغضب) وقلت: إلىَّ تتبدى وأنت من أهل الأرض، فذهب هارباً وجاء أصحابى فقالوا: أين الرجل الذى كان عندك؟ فقلت: إنه كان من الجن فهرب. قال: فما منهم رجل إلا سقط إلى الأرض عن راحلته، فأخذت كل رجل منهم فشددته على راحلته حتى أتيت بهم الحج وما يعقلون.(١)

(١) المصدر السابق جـ ٨ / ٣٧٠.



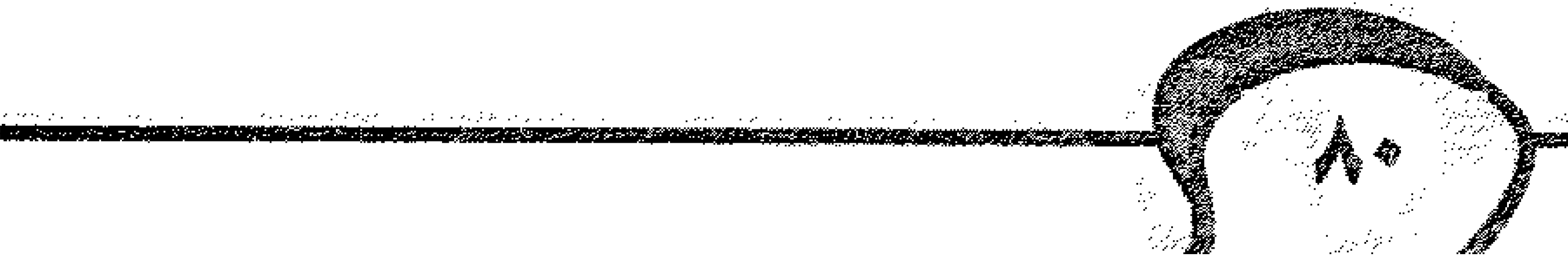
حديث إلى الأسد

من وفيات سنة ٧٦ هـ صلَّة بن أشيم العدوى، روى ابن كثير عنه فيما رواه جعفر بن زيد قال: خرجنا فى غزاة وفى الجيش صله بنى أشيم فنزل الناس عند العتمة فقلتُ: لأرمقن عمله الليلة، فدخل غَيْضَة (مَغِيض ماء يجتمع فينبت فيه الشجر / اللسان) ودخلتُ فى أثره فقام يصلى وجاء الأسد حتى دنا منه وصعدتُ أنا فى شجرة، قال فتراه التفتَ أو عدَّه جروًا حتى سجد فقلت: الآن يفترسه، فجلس ثم سَلَّمَ فقال: أيها السبع إنْ كنت أُمِرْتَ بشىء فافعل وإلا فاطلب الرزق فى مكان آخر، فولَّى الأسد وإنَّ له لزئيرًا تصدَّع منه الجبال!!(1)

* * *

الشجاعة لا تأتى من فراغ، والثقة بالله تجعل المؤمن عزيزًا لايهاب إلا الله، ويهون العدو فى عينه ويصغر كلما عظم أمر ربه وهاب أن يعصاه.. ومَنْ خاف من الله خوّف الله منه كل شىء، ومَنْ لم يخف من الله خوفه الله من كل شىء وتتميماً للفائدة نضرب مثلاً لعجيبة فى الجبن كنموذج لما يصير إليه حال المسلم حين يبتعد عن ربه.

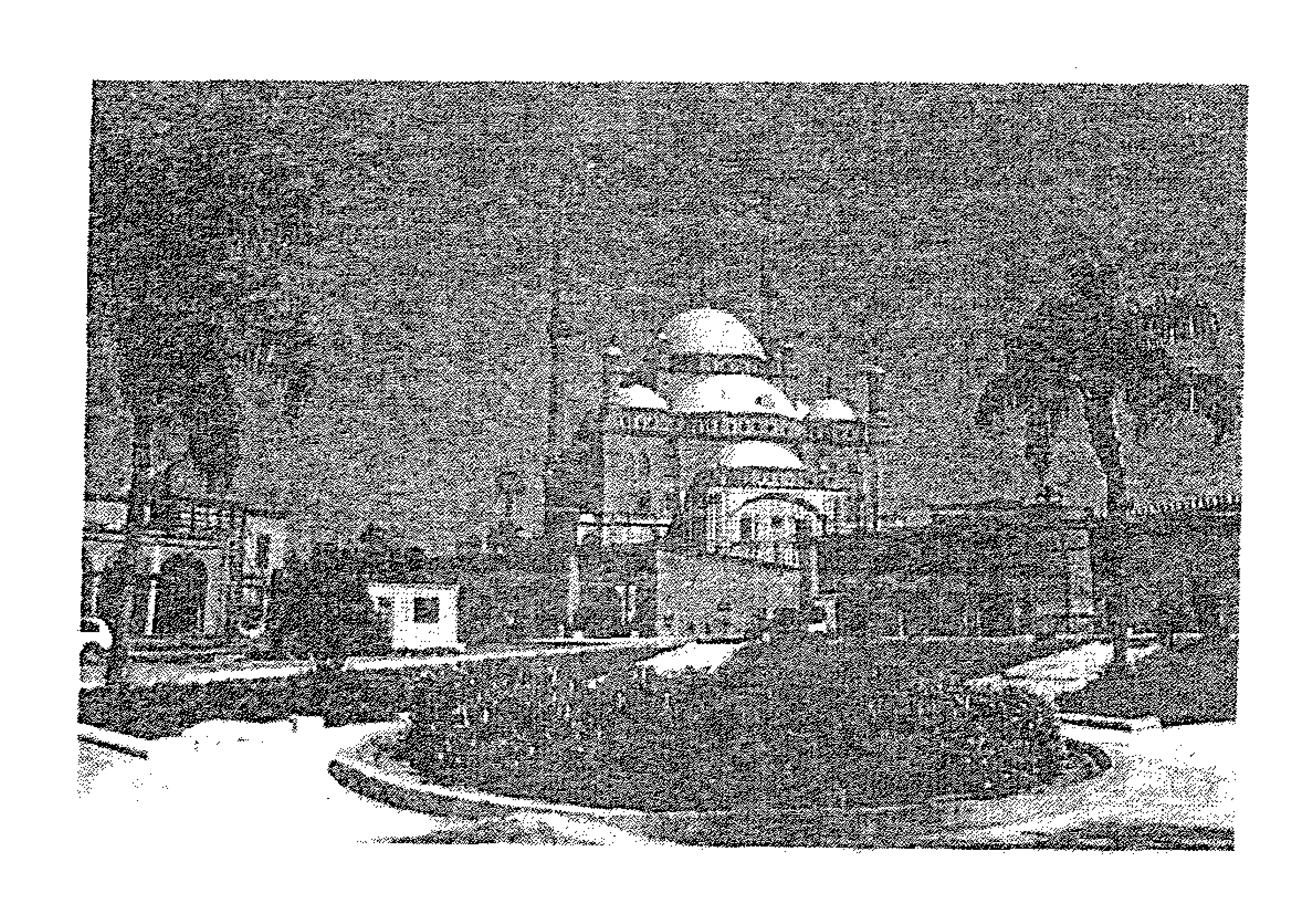
(1) المصدر نفسه جـ ٩ / ٢١، ٢٢.





عجيبة فى الجُبْن

من وقائع سنة ٦١٧ هـ حكى لنا ابن كثير عن خوف المسلمين من التتار فقال:... وقد كان الناس يخافون منهم خوفاً عظيمًا جداً!!! حتى إنه دخل رجل منهم إلى درب من (المراغة) وبه مائة رجل لم يستطع واحد منهم أن يتقدم إليه، ومازال يقتلهم واحدًا بعد واحد حتى قتل الجميع ولم يرفع منهم أحد يده إليه، ونهب ذلك الدرب وحده. ودخلت امرأة منهم فى زى رجل (قال ابن الأثير: دخلت دارًا) فقتلت كل مَنْ فى ذلك البيت وحدها ثم استشعر أسير معها أنها امرأة فقتلها لعنها الله.(١)



(١) المصدر السابق جـ ١٣ / ١٠٦.





أولا: العقائد

اعتقاد النبوة

من وقائع سنة ٢٣٥ هـ روى ابن كثير: وفيها خرج رجل يقال له محمود ابن الفرج النيسابورى، وهو ممن كان يتردد إلى خشبة بَابك وهو مصلوب فيقعد قريبًا منه، وذلك بقرب دار الخلافة... فادَّعى أنه نبى، وأنه ذو القرنين وقد اتبعه على هذه الضلالة ووافقه على هذه الجهالة جماعة قليلون، وهم تسعة وعشرون رجلاً، وقد نظم لهم كلامًا فى مصحف قَبَّحَهُ اللَّهُ، زعم أن جبريل جاءه به من عند الله، فأُخِذَ فَرُفِعَ أمره إلى المتوكل فأمر فَضُرِبَ بين يديه بالسياط، فاعترف بما نسب إليه وما هو مُعول عليه، وأظهر التوبة من ذلك والرجوع عنه، فأمر الخليفة كل واحد من أتباعه التسعة والعشرين أن يصفعوه فصفعوه عشر صفعات فعليه وعليهم لعنة رب الأرض والسموات!!



إعتقاد الأحمر

من وقائع سنة ٢٨٠ هـ: ذكر ابن كثير فى وفياتها ترجمة لإسحاق بن محمد ابن أحمد بن أبان أبو يعقوب النخعى الأحمر، وإليه تُسب الطائفة الإسحاقية من الشيعة. وقد ذكر ابن النوبختى والخطيب وابن الجوزى أن هذا الرجل كان يعتقد إلهية على بن أبى طالب، وأنه انتقل إلى الحسن ثم الحسين، وأنه كان يظهر فى كل وقت، وقد اتبعه على هذا الكفر خلق من الحمر قبحهم الله وقبحه، وإنما قيل له الأحمر لأنه كان أبرص، وكان يطلى برصه بما يغير لونه، وقد أورد له النوبختى أقوالاً عظيمة فى الكفر. لعنه الله.(٢)

طعام من الجنة

من وفيات سنة ٤٥١ هـ ذكر ابن كثير ترجمة الحسن بن الفضل أبو على الشرمقانى المؤَدِّب المقرئ الحافظ للقرآن والقراءات، واختلافها، كان ضيق الحال فرآه شيخه ابن العلاف ذات يوم وهو يأخذ أوراق الخس من دجلة ويأكلها، فأَعْلَمَ ابن المَسْلَمة بحاله، فأرسل ابن المسلمة غلاماً له وأمره أن يذهب إلى الخزانة التى له بمسجده فيتخذ لها مفتاحاً غير مفتاحه، ثم كان كل يوم يضع فيها ثلاثة أرطال من خبز السَّمِيد والكراع (والكُرَاع من الإنسان ما دون الركبة إلى الكعب، ومن الدواب: ما دون الكعب/ اللسان) ودَجَاجَة، وحلاوة السكر، فظن أبو على الشرمقانى أن ذلك كرامة أكرمه الله بها، وأن هذا الطعام الذى يجده فى خزانته من الجنة فكتِمه زماناً وجعل ينشد:

مَنْ اطلعوه على سرٍ فَباحَ بهِ ... لم يأمنوه على الأسرار ما عاشا

وابعدوهُ فلم يظفر بقربهمُ ... وأبدلوهُ فكان الأنسُ إيحاشا

---

(١) البداية والنهاية جـ ١٠/ ٣٤٥.

(٢) المصدر نفسه جـ ١١/ ٩٣.



فلما كان فى بعض الأيام ذاكره ابن العلاف فى أمره، وقال له فيما قال: أراك قد سمنت فما هذا الأمر، وأنتَ رجل فقير؟ فجعل يُلَوِّح ولا يُصَرِّح، ريُكَنِي ولا يُفَصِح، ثم ألحَّ عليه فأخبره أنه يجد كل يوم فى خزانته من طعام الجنة ما يكفيه، وأن هذا كرامة أكرمه الله بها، فقال له: ادع لابن المسلمة فإنه الذى يفعل ذلك، وشرح له صورة الحال، فكسره ولم يعجبه.

ناصر فرعون



من وقائع ٧٦١ هـ وفى أواخر شهر شوال روى ابن كثير أن رجلاً يقال له حسن، كان خياطاً بمحلة الشاغور، ومن شأنه أن ينتصر لفرعون لعنه الله، ويزعم أنه مات على الإسلام ويحتج بأنه فى سورة يونس حين أدركه الفرق قال: ﴿آمَنتُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ (سورة يونس: الآية ٩٠) ولا يَفْهَم معنى قوله ﴿فأخذه الله نكال الآخرة والأولى﴾ (سورة النازعات: الآية ٢٥) ولا معنى قوله: ﴿فَأَخَذْنَاهُ أَخْذًا وَبِيلاً﴾ (سورة المزمل: ١٦) إلى غير ذلك من الآيات والأحاديث الكثيرة الدالة على أن فرعون من أكفر الكافرين كما هو مجمع عليه بين اليهود والنصارى والمسلمين... وفى يوم الأحد تاسع المحرم أحضر حسن ابن الخياط من محلة الشاغور إلى مجلس الحكم المالكى من السجن، وناظر فى إيمان فرعون وادّعى عليه بدعاوى لانتصاره لفرعون لعنه الله، وصَدَّق ذلك باعترافه أولاً ثم بمناظرته فى ذلك ثانياً وثالثاً، وهو شيخ كبير جاهل عامى ذا نص لا يقيم دليلاً ولا يحسنه، وإنما قام فى مخيلته شُبْهَة يحتج عليها بقوله إخباراً عن فرعون حين أدركه الفرق، وأُحيط به ورأى بأس الله، وعاين عذابه الأليم... فاعتقد هذا العامىّ أن هذا الإيمان الذى صدر من فرعون والحالة هذه ينفعه، وقد قال



تعالى: ﴿فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَحْدَهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ ﴿٨٤﴾ فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا سُنَّتَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ﴾ (سورة غافر الآية: ٨٤ . ٨٥).

... ثم حضر فى يوم آخر وهو مصمم على ضلاله فَضُرِبَ بالسياط، فأظهر التوبة ثم أعيد إلى السجن فى زنجير، ثم أحضر يوماً ثالثاً وهو يستهل بالتوبة فيما يَظهَر، فنودِيَ عليه فى البلد ثم أطلِق.(١)

ثانياً: العبادات

أذان فى غير موعده



من وقائع سنة ٢٨٩ هـ: روى ابن كثير فقال: ذكر القاضى أبو الحسن محمد بن عبد الواحد الهاشمى عن شيخ من التجار قال: كان لى على بعض الأمراء مال كثير فماطلنى ومنعنى حقى، وجعل كلما جئت أطالبه حجبنى عنه ويأمر غلمانه يؤذوننى فاشتكيت عليه إلى الوزير فلم يفد ذلك شيئاً، وإلى أولياء الأمر من الدولة فلم يقطعوا منه شيئاً، وما زاده ذلك إلا منعاً وجحوداً، فأيست من المال الذى عليه ودخلنى همّ من جهته، فبينما أنا كذلك وأنا حائر إلى مَنْ أشتكى، إذ قال لى رجل: ألا تأتى فلاناً الخياط . إمام مسجد هناك . فقلت: وما عسى

(١) المصدر السابق جـ ١٤/ ٣١٣، ٣١٥. وأنظر عجيبة أخرى فى الاعتقاد جـ ٩/ ٣٥٤.



أن يضع خياط مع هذا الظالم. وأعيان الدولة لم يقطعوا فيه؟ فقال لى: هو أقطع وأخوف عنده من جميع مَنْ اشتكيت إليه، فاذهب لعلك أن تجد عنده فرجاً. قال فقصدته غير محتفل فى أمره، فذكرت له حاجتى ومالى وما لقيت من هذا الظالم، فقام معى فحين عاينه الأمير قام إليه وأكرمه واحترمه وبادر إلى قضاء حقى الذى عليه فأعطانيه كاملاً من غير أن يكون منه إلى الأمير كبير أمر، غير أنه قال له، ادفع إلى هذا الرجل حقه وإلا أذنت. فتغير لون الأمير ودفع إلىَّ حقى.

قال التاجر: فعجبت من ذلك الخياط مع رثاثة حاله وضعف بِنْيَتِهِ كيف انصاع ذلك الأمير له، ثم إنى عرضت عليه شيئاً من المال فلم يقبل منى شيئاً، وقال: لو أردت هذا لكان لى من الأموال ما لا يُحْصَى. فسألته عن خبره وذكرت له تعجبى منه وألححت عليه فقال: إن سبب ذلك أنه كان عندنا فى جوارنا أمير تركى من أعالى الدولة، وهو شاب حسن، فمرت به ذات يوم امرأة حسناء قد خرجت من الحمَّام وعليها ثياب مرتفعة ذات قيمة، فقام إليها وهو سكران فتعلق بها يريدها على نفسها ليدخلها منزله، وهى تأبى عليه وتصيح بأعلى صوتها: يا مسلمين أنا امرأة ذات زوج، وهذا رجل يريدنى على نفسى ويدخلنى منزله، وقد حلف زوجى بالطلاق أن لا أبيت فى غير منزله، ومتى بتّ ها هنا طلقت منه ولحقنى بسبب ذلك عار لا تدحضه الأيام ولا تغسله المدامع، قال الخياط: فقمت إليه فأنكرت عليه وأردت خلاص المرأة من يديه فضربنى بدبوس فى يده فشجَّ رأسى، وغلب المرأة على نفسها وأدخلها منزله قهراً، فرجعت أنا فغسلت الدم عنى وعصبت رأسى وصليت بالناس العشاء ثم قلت للجماعة: إن هذا قد فعل ما قد علمتم فقوموا معى إليه لننكر عليه ونخلص المرأة منه، فقام الناس معى فهجمنا عليه داره فثار إلينا فى جماعة من غلمانه بأيديهم العصى والدبابيس يضربون الناس، وقصدنى هو من بينهم فضربنى ضرباً شديداً مبرحاً حتى أدمانى، وأخرجنا من منزله ونحن فى غاية الإهانة، فرجعت إلى منزلى وأنا لا أهتدى إلى الطريق من شدة الوجع وكثرة الدماء، فنمت على فراشى فلم يأخذنى نوم، وتحيرت ماذا أصنع حتى أنقذ المرأة من يده فى الليل لترجع فتبيت فى منزلها حتى لا يقع على زوجها الطلاق، فأُلهِمْتُ أن أُؤَذّن الصبح فى أثناء الليل لكى يظن



أن الصبح قد طلع فيخرجها من منزله فتذهب إلى منزل زوجها، فصعدت المنارة وجعلت أنظر إلى باب داره وأنا أتكلم على عادتى قبل الأذان هل أرى المرأة قد خرجت ثم أذنت فلم تخرج، ثم صممت على أنه إن لم تخرج أقمت الصلاة حتى يتحقق الصباح، فبينا أنا أنظر هل تخرج المرأة أم لا، إذ امتلأت الطريق فرساناً ورَجَّالة وهم يقولون: أين الذى أذن هذه الساعة؟ فقلت: ها أنا ذا، وأنا أريد أن يعينونى عليه، فقالوا: انزل، فنزلت فقالوا: أجب أمير المؤمنين، فأخذونى وذهبوا بى لا أملك من نفسى شيئاً، حتى أدخلونى عليه، فلما رأيته جالساً فى مقام الخلافة ارتعدت من الخوف وفزعت فزعاً شديداً، فقال: ادن، فدنوت فقال لى: ليسكن روعك وليهدأ قلبك. ومازال يلاطفنى حتى اطمأننت وذهب خوفى، فقال: أنت الذى أذَّنت هذه الساعة؟ قلت: نعم يا أمير المؤمنين. فقال: ما حملك على أن أذنت هذه الساعة، وقد بقى من الليل أكثر مما مضى منه؟ فتُغر بذلك الصائم والمسافر والمصلى وغيرهم. فقلت: يؤمننى أمير المؤمنين حتى أقصّ عليه خبرى؟ فقال: أنت آمن. فذكرت له القصة. قال: فغضب غضباً شديداً، وأمر بإحضار ذلك الأمير والمرأة من ساعته على أية حالة كانا فأحضرا سريعاً فبعث بالمرأة إلى زوجها مع نسوة من جهته ومعهن ثقة من جهته أيضاً، وأمره أن يأمر زوجها بالعفو والصفح عنها والإحسان إليها، فإنها مكرهة معذوره. ثم أقبل على ذلك الشاب الأمير فقال له: كم لك من الرزق؟ وكم عندك من المال؟ وكم عندك من الجوار والزوجات؟ فذكر له شيئاً كثيراً. فقال: ويحك أما كفاك ما أنعم الله به عليك حتى انتهكتَ حرمة الله وتعدَّيت حدوده وتجرأت على السلطان، وما كفاك ذلك أيضاً حتى عمدت إلى رجل أمرك بالمعروف ونهاك عن المنكر فضربته وأهنته وأدميته؟ فلم يكن له جواب. فأمر به فجعل فى رجله قيد وفى عنقه غلّ ثم أمر به فأُدْخِل فى جوالق ثم أمر به فضرب بالدبابيس ضرباً شديداً حتى خَفَتَ، ثم أمر به فألقى فى دجلة فكان ذلك آخر العهد به. ثم أمر بدراً صاحب الشرطة أن يحتاط على ما فى داره من الحواصل والأموال التى كان يتناولها من بيت المال، ثم قال لذلك الرجل الصالح الخياط: كلما رأيت منكراً صغيراً كان أو كبيراً ولو على هذا - وأشار إلى صاحب الشرطة - فَأَعْلِمْنِى، فإن اتفق اجتماعك بى وإلا فَعَلَى ما بينى



وبينك، الأذان، فأذّن فى أى وقت كان أو فى مثل وقتك هذا. قال: فلهذا لا آمر أحداً من هؤلاء الدولة بشئ إلا امتثلوه، ولا أنهاهم عن شئ إلا تركوه خوفاً من المعتضد. وما احتجت أن أؤذن فى مثل تلك الساعة إلى الآن.

ـ من وقائع ٧٥٠ هـ: روى ابن كثير فقال: وفى يوم السبت تاسع عشر رجب أذن المؤذنون للفجر قبل الوقت بقريب من ساعة، فصلى الناس فى الجامع الأموى على عادتهم فى ترتيب الأئمة، ثم رأوا الوقت باقياً فأعاد الخطيب الفجر بعد صلاة الأئمة كلهم، وأقيمت الصلاة ثانياً، وهذا شئ لم يتفق مثله.

أين الهلال؟!!

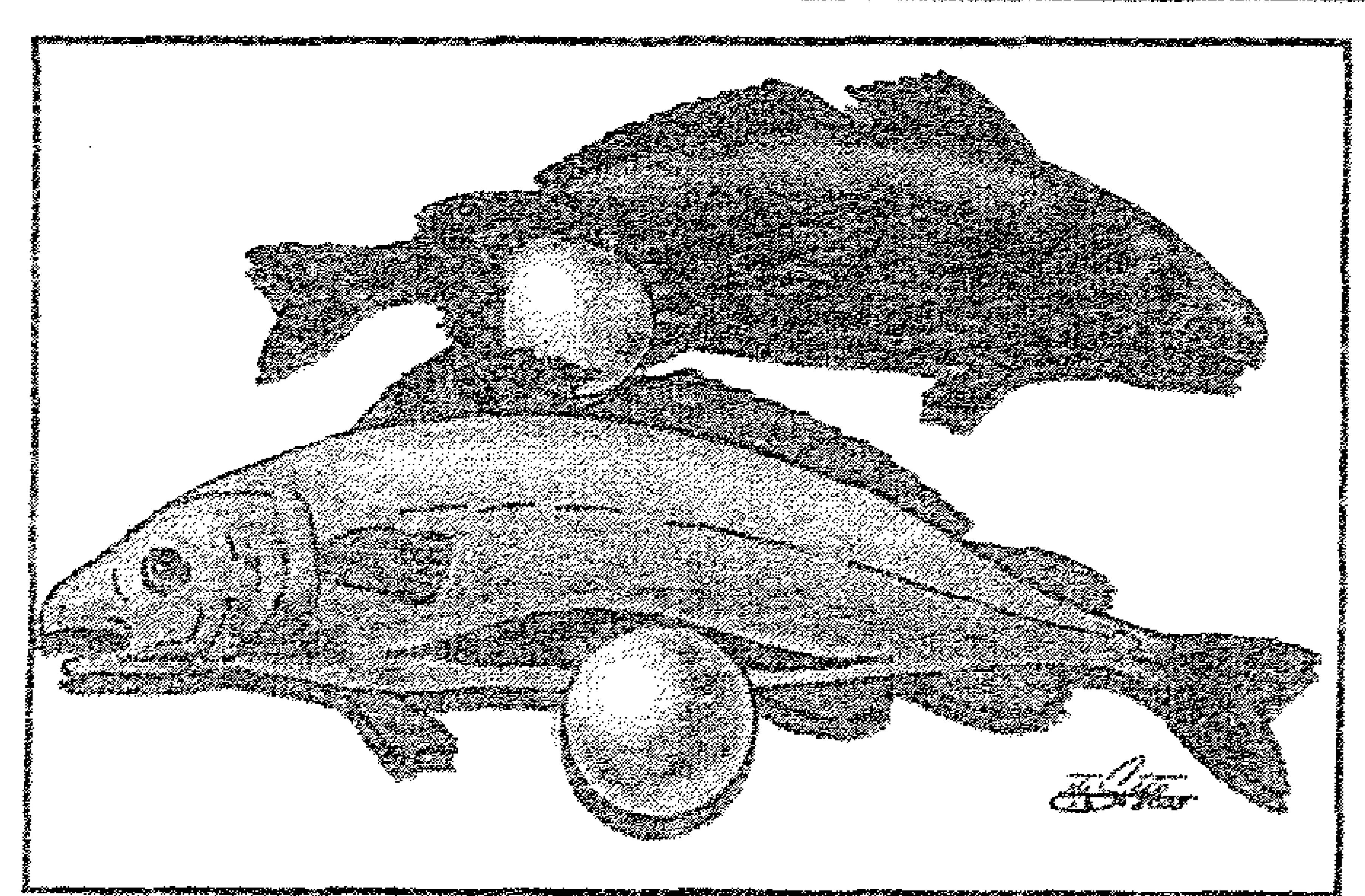
قال ابن كثير فى وقائع سنة ٥٣١ هـ: وفيها صام أهل بغداد رمضان ثلاثين يوماً ولم يروا الهلال ليلة إحدى وثلاثين، مع كون السماء كانت مصْحِيّة (صافية) قال ابن الجوزى: وهذا شئ لم يقع مثله»

الحاج ميت!!

من وقائع سنة ٣٩١ هـ روى ابن كثير عن جعفر بن الفضل بن جعفر. قال عنه ابن خلكان (فى وفيات الأعيان): كانت وفاته فى صفر، وقيل فى ربيع الأول منها، عن ثنتين وثمانين سنة ودفن بالقرافة، وقيل بداره، وقيل إنه كان قد اشترى بالمدينة النبوية داراً فجعل له فيها تربة، فلما نُقِل إليها تلقته الأشراف لإحسانه إليهم، فحملوه وحجوا به ووقفوا به بعرفات، ثم أعادوه إلى المدينة فدفنوه بتربته.

(فهل سمعتَ برجل حج وهو ميت من قبل؟!!)

مَنْ الذكىّ ؟!



من وقائع سنة ١٠٦ هـ

روى ابن كثير عن الطبرانى قال: حدثنا إسحاق ابن إبراهيم، حدثنا عبد الرزاق، حدثنا معمر، عن ابن طاوس عن أبيه. قال: كان رجل من بنى إسرائيل له أربعة بنين، فمرض، فقال أحدهم: إما أن تُمرّضوا أبانا وليس لكم من ميراثه شئ، وإما أن أمرضه وليس لى من ميراثه شئ، فمرضه حتى مات ودفنه ولم يأخذ من ميراثه شيئاً. وكان فقيراً وله عيال، فأُتِىَ فى النوم فقيل له: إيت مكان كذا وكذا فاحفره تجد فيه مائة دينار فخذها، فقال للآتى فى المنام: ببركة أو بلا بركة؟ فقال: بلا بركة، فلما أصبح ذكر ذلك لامرأته فقالت: اذهب فخذها فإن من بركتها أن تكسونى منها ونعيش منها، فأبى وقال: لا آخذ شيئاً ليس فيه بركة. فلما أمسى أُتى فى منامه فقيل له: إيت مكان كذا وكذا فخذ منه ديناراً، فقال: ببركة أو بلا بركة؟ قال: ببركة، قال: نعم إذاً. فلما أصبح ذهب إلى ذلك المكان الذى أُشير إليه فى المنام فوجد الدينار فأخذه، فوجد صياداً يحمل حوتين فقال: بكم هما؟ قال: بدينار، فأخذهما منه بذلك الدينار ثم انطلق بهما إلى امرأته فقامت تصلحهما، فشقت بطن أحدهما فوجدت فيه درّة لا يقوم بها شئ، ولم ير الناس مثلها، ثم شقت بطن الآخر فإذا فيه درة مثلها، قال: فاحتاج ملك ذلك الزمان درة فبعث يطلبها حيث كانت ليشتريها، فلم توجد إلا عنده، فقال الملك: إيت بها، فأتاه بها، فلما رآها حلاّها الله عز وجل فى عينيه، فقال: بعينها، فقال: لا أنقصها عن وِقْر (حِمْل) ثلاثين بغلاً ذهباً، فقال الملك: أرضوه، فخرجوا به فوقروا له ثلاثين بغلاً



ذهباً، ثم نظر إليها الملك فأعجبته إعجاباً عظيماً، فقال: ما تصلح هذه إلا بأختها، اطلبوا لى أُختها، قال: فأتوه فقالوا له: هل عندك أختها ونعطيك ضعف ما أعطيناك؟ قال وتفعلون؟ قالوا: نعم. فأتى الملك بها، فلما رآها أخذت بقلبه فقال أرضوه، فأضعفوا له ضعف أختها.(١)



(١) المصدر السابق جـ ٩ / ٢٦٨.





الكوارث لا عصر لها ولا زمن، فهى تقع فى كل الأزمان.. ولكن البعض من أهل العصر قد يظن أن ما يقع الآن من كوارث لا مثيل لها ويبالغ فى وصفها.. بينما لو تطلع فى التاريخ القديم سيجد أن كثيراً من الكوارث العصرية لا تُقَارن بكوارث الماضى.. وهذه طائفة منها يرويها لنا ابن كثير:

السَّيْل الجَحَّاف بمكة

من وقائع سنة ٨٠ هـ: فيها (يوم الاثنين وذلك يوم التروية وقد نزلوا وادى مكة كما أشار البلاذرى) كان السيل الجحَّاف بمكة لأنه جحف على كل شئ فذهب به، وحمل الحجاج من بطن مكة الجمال بما عليها، والرجال والنساء لا يستطيع أحد أن ينقذهم منه، وبلغ الماء إلى الحجون، وغرق خلق كثير، وقيل إنه ارتفع حتى كاد أن يغطى البيت.[١]

عام الغَلَيَان

من وقائع سنة ٢٤٥ هـ: فيها وقعت زلازل كثيرة فى بلاد شتى، فمن ذلك بمدينة إنطاكية سقط فيها ألف وخمسمائة دار، وانهدم من سورها نيف وتسعون برجا.

(١) البداية والنهاية جـ ٩/ ٢٦. وانظر أخبار مكة للأزرقى جـ ٢/ ١٦٨.



وسُمِعَت من كوى دورها أصوات مزعجة جداً فخرجوا من منازلهم سراعاً يهرعون، وسقط الجبل الذى إلى جانبها الذى يُقال له الأقرع فساخ فى البحر، فهاج البحر عند ذلك وارتفع دخان أسود مظلم منتن، وغار نهر على فرسخ منها فلا يُدرى أين ذهب. ذكر أبو جعفر بن جرير (الطبرى فى تاريخه المسمى بتاريخ الأمم والملوك) قال: وسَمِعَ فيها أهل تنيس ضجَّة دائمة طويلة مات منها خلق كثير. قال: وزلزلت فيها الرها والرقة وحرَّان ورأس العين وحمص ودمشق وطرطوس والمصيصة، وأذنة وسواحل الشام، ورجفت اللاذقية بأهلها فما بقى منها منزل إلا انهدم، وما بقى من أهلها إلا اليسير، وذهبت جبلة بأهلها. وفيها غارت مُشاش - عين - مكة حتى بلغ ثمن القِرْبَة بمكة ثمانين درهماً.(١)

ظل الفناء

من وقائع سنة ٣٢٤ هـ: فيها وقع غلاء عظيم ببغداد وفناء كثير بحيث عدم الخبز منها خمسة أيام، ومات من أهلها خلق كثير، وأكثر ذلك كان فى الضعفاء، وكان الموتى يُلْقونَ فى الطريق ليس لهم مَنْ يقوم بهم، ويحمل على الجنازة الواحدة الرجلان من الموتى، وربما يوضع بينهم صبى، وربما حفرت الحفرة الواحدة فتوسع حتى يوضع فيها جماعة.

ومات من أهل أصبهان نحو من مائتى ألف إنسان.

وفيها وقع حريق بعمان أحرق فيه من السودان ألف، ومن البيضان خلق كثير، وكان جملة ما أحرق فيه أربعمائة حمل كافور.(٢)

(١) المصدر السابق جـ ١٠/ ٣٨١. (٢) المصدر نفسه جـ ١١/ ٢٠٩.



غضب الله

من وقائع سنة ٤٢٥ هـ: وفيها كثرت الزلازل بمصر والشام فهدمت شيئاً كثيراً، ومات تحت الردم خلق كثير، وانهدم من الرَّمْلَة ثلثها، وتقطع جامعها تقطيعاً، وخرج أهلها منها هاربين، فأقاموا بظاهرها (بخارجها) ثمانية أيام، ثم سكن الحال فعادوا إليها، وسقط بعض حائط بيت المقدس، ووقع من محراب داود قطعة كبيرة، ومن مسجد إبراهيم قطعة، وسلمت الحجرة، وسقطت منارة عسقلان، ورأس منارة غزة، وسقط نصف بنيان نابلس، وخسف بقرية البارزاد وبأهلها وبقرها وغنمها، وساخت فى الأرض. وكذلك قرى كثيرة هنالك، وذكر ذلك ابن الجوزى.

ووقع غلاء شديد ببلاء إفريقية، وعصفت ريح سوداء بنصيبين فألقت شيئاً كثيراً من الأشجار كالتوت والجوز والعناب، واقتلعت قصراً مشيداً بحجارة وآجر وكلس فألقته وأهله فهلكوا، ثم سقط مع ذلك مطر أمثال الأكف، والزنود والأصابع، وجزر البحر من تلك الناحية ثلاث فراسخ، فذهب الناس خلف السمك فرجع البحر عليهم فهلكوا. وفيها كثر الموت بالخوانيق حتى كان يغلق الباب على من فى الدار كلهم موتى، وأكثر ذلك كان ببغداد، فمات من أهلها فى شهر ذى الحجة سبعون ألفاً.[1]

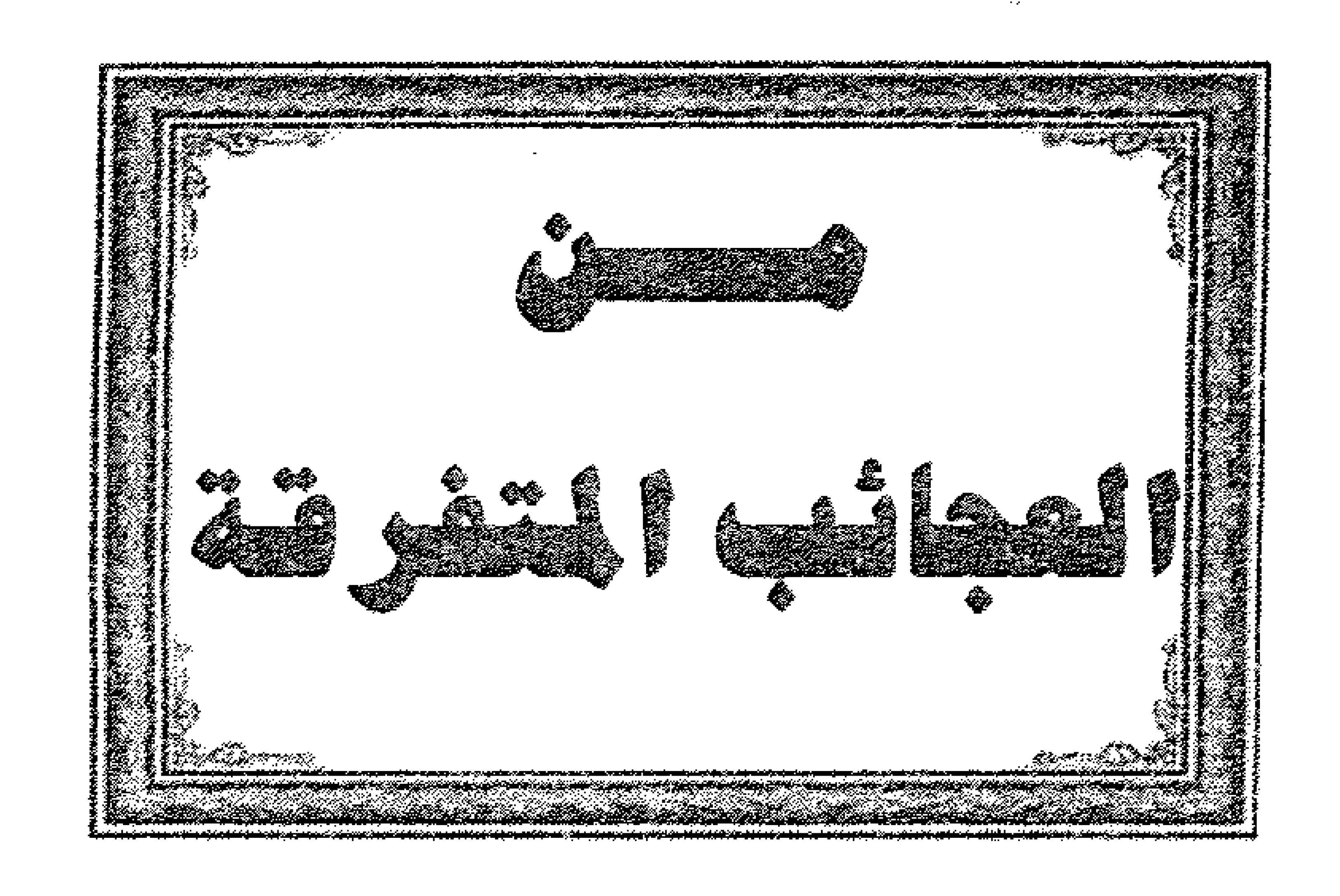
* * *

(١) المصدر السابق جـ ١٢/ ٤٥.



الحمد لله فكوارثنا لا تصل إلى هذا المدى.. ومن الفطنة أن نعرف ما هى سبب هذه الكوارث. إن أهل العلم يحللون الأمر من وجهة نظر العلم، والعَامَّة يتحدثون عن الحَدَث وينسون المُحّدِث.. إن الله تعالى يرينا آثار غضبه لعلنا نرجع إليه.. قال تعالى: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ (سورة الروم: الآية ٤١).





عجيبة فى النّسَب

يعتبر نسب فاطمة زوجة عمر بن عبد العزيز عجيباً قال الزبير بن بكار: حدثنى العتبى قال:... فلما مات أبوه (أى عمر بن عبد العزيز) أخذه عمه أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان فخلطه بولده، وقدَّمه على كثير منهم، وزوَّجه بابنته فاطمة، وهى التى يقول الشاعر فيها:

بنتُ الخليفةِ والخليفةُ جدها ... أختُ الخلائفِ والخليفة زوجها

قال: ولا نعرف امرأة بهذه الصفة إلى يومنا هذا سواها. رواها ابن كثير فى وقائع سنة ١٠١ هـ فى ترجمة الخليفة عمر بن عبد العزيز رحمه الله.(١)

عجيبة فى الحَمْل

فى وفيات سنة ١٠٢ هـ ذكر ابن كثير ترجمة للضحّاك بن مزاحم الهلالى أبو القاسم، ويُقال له أبو محمد، الخراسانى... وكان إماماً فى التفسير... وحملت به أمه سنتين، ووضعته وله أسنان، وكان يُعَلِّم الصبيان حِسْبَةً.(٢) (أى لوجه الله تعالى بلا أجر).

(١) البداية والنهاية جـ ٩/ ٢١٨.

(٢) نفس المصدر جـ ٩/ ٢٤٩.



عجيبة فى التملك

من وقائع سنة ٥١٥ هـ روى ابن كثير ترجمة لأبى القاسم شاهنشاه الأفضل ابن أمير الجيوش بمصر، مُدَبِّر دولة الفاطميين... (وقد توفى فى هذا العام) مات مقتولاً عن سبع وخمسين سنة فى رمضان... وقد وُجِدَ له أموال عديدة جداً، تفوق العد والإحصاء، من القناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسوَّمة والأنعام والحرث، والجواهر النفائس... قال ابن خلكان: ترك الأفضل من الذهب العين ستمائة ألف ألف دينار مكررة، ومن الدراهم مائتين وخمسين أَرْدَبًا، وسبعين ثوب ديباج أطلس، وثلاثين راحلة أحقاق ذهب عراقى، ودواة ذهب فيها جوهرة باثنى عشر ألف دينار، ومائة مسمار ذهب زنة كل مسمار مائة مثقال، فى عشرة مجالس كان يجلس فيها على كل مسمار منديل مشدود بذهب، كل منديل على لون من الألوان من ملابسه، وخمسمائة صندوق كسوة للبس بدنه، قال: وخلَّف من الرقيق والخيل والبغال والمراكب والمسك والطِّيب والحُلِىّ ما لا يعلم قدره إلا الله عز وجل، وخلف من البقر والجواميس والغنم ما يستحيى الإنسان من ذكره، وبلغ ضمان ألبانها فى سنة وفاته ثلاثين ألف دينار، وترك صندوقين كبيرين مملوءين إبر ذهب برسم النساء. قال ابن كثير: فانتقل ذلك كله إلى الخليفة الفاطمى فجُعِلَ فى خزانته، وذهب جامعه إلى سواء الحساب، على الفتيل من ذلك والنقير والقطمير.(١)

عجيبة فى العلم والوعظ

فى ترجمة ابن الجوزى من وفيات سنة ٥٩٧ هـ روى ابن كثير عنه فقال: الشيخ الحافظ الواعظ جمال الدين أبو الفرج المشهور بابن الجوزى، القرشىّ التيمىّ البغدادى الحنبلى، أحد أفراد العلماء، برز فى علوم كثيرة، وانفرد بها عن

---

(١) المصدر السابق جـ ١٢/ ٢٣٤ بتصرف يسير.



غيره، وجمع المصنفات الكبار والصغار نحواً من ثلاثمائة مصنف، وكتب بيده نحواً من مائتى مجلدة (فى تذكرة الحفاظ ص ١٣٤٣ فقد ذكر فيها تصانيف أبى الفرج ابن الجوزى).. وتفرد بفن الوعظ الذى لم يسبق إليه ولا يُلْحَق شأوه فيه وفى طريقته وشكله، وفى فصاحته وبلاغته وعذوبته وحلاوة ترصيعه ونفوذ وعظه وغوصه على المعانى البديعة، وتقريبه الأشياء الغريبة فيما يُشَاهَد من الأمور الحسية، بعبارة وجيزة سريعة الفهم والإدراك، بحيث يجمع المعانى الكثيرة فى الكلمة اليسيرة، هذا وله فى العلوم كلها اليد الطولى، والمشاركات فى سائر أنواعها من التفسير والحديث والتاريخ والحساب والنظر فى النجوم والطب والفقه وغير ذلك من اللغة والنحو (يمكننا أن نطلق عليه: الرجل الجَامِعَة)، وله من المصنفات فى ذلك ما يضيق هذا المكان عن تعدادها،... وقد أوردنا فى كتابنا هذا كثيراً من كتابه (المنتظم فى تواريخ الأمم من العرب والعجم فى عشرين مجلداً).. ولم يزل يؤرخ أخبار العالم حتى صار تاريخاً، وما أحقه بقول الشاعر:

مازلتَ تَدأبُ فى التاريخ مجتهداً ... حتى رأيتُكَ فى التاريخ مكتوبَا

... وقد حضر مجلس وعظه الخلفاء والوزراء والملوك والأمراء والعلماء والفقراء، ومن سائر صنوف بنى آدم، وأقل ما كان يجتمع فى مجلس وعظه عشرة آلاف، وربما اجتمع فيه مائة ألف أو يزيدون، وربما تكلم من خاطره على البديهة نظماً ونثراً،



وبالجملة كان أستاذاً فرداً فى الوعظ وغيره.[1]

من أعجب المداحين فى التاريخ

من وقائع سنة ٥٦٠ هـ روى لنا ابن كثير عن الصرصرى المادح وذلك فى ترجمته واسمه يحيى بن يوسف بن يحيى بن منصور بن المعمر عبد السلام الشيخ الإمام العلامة البارع الفاضل فى أنواع العلوم جمال الدين أبو زكريا الصرصرى، الفاضل المادح الحنبلى الضرير البغدادى، معظم شعره فى مدح رسول الله ﷺ، وديوانه فى ذلك مشهور معروف غير منكر... وكان ذكياً يتوقد نوراً، وكان ينظم على البديهة سريعاً أشياء حسنة فصيحة بليغة... وأما مدائحه فى رسول الله ﷺ فيقال إنها تبلغ عشرين مجلداً، وما اشتهر عنه أنه مدح أحداً من المخلوقين من بنى آدم إلا الأنبياء... (وقد رزقه الله الشهادة على يد التتار) قال ابن كثير: ولما دخل التتار إلى بغداد دُعِىَ إلى كرمون بن هلاكو فأبى أن يُجيب إليه، وأعدَّ فى داره حجارة فحين دخل عليه التتار رماهم بتلك الحجارة فهشم منهم جماعة، فلما خلصوا إليه قتل بعكازه أحدهم (وفى شذرات الذهب ٥/ ٢٨٦: نحو اثنى عشر نفساً)، ثم قتلوه شهيداً رحمه الله.[2]

---

(١) البداية والنهاية جـ ١٣/ ٣٥ * وللاستزادة من عجائب الحفظ والاتقان عند علمائنا ارجع إلى المجلدات: جـ ٩/ ٣٤٣ (قتادة) جـ ١١/ ٣٠ (البخارى)، ٤٤ (أبو زرعة)، ٢٣٦ (ابن عقدة)، ٢٩٦ (أبو بكر ابن الجعابى)، ٣٦٢ (الدارقطنى).
جـ ١٢/ ١١٣ (ابن حزم الظاهرى)، ١١٥ (البيهقى).
جـ ١٣/ ٦٥ (ابن الأثير)، ٦٦ (الفخر الرازى)، ٢٠٦ (أبو عمرو بن الحاجب).
جـ ١٤ (ابن تيمية) ١٥٧، وفى تقدير العلماء جـ ١١/ ٢٢٧.
وغيرها كثير أضربت عنه لكثرته واكتفيت بذلك.

(٢) المصدر السابق جـ ١٣/ ٢٤٤.



فهل رأيتم ضريراً يبلغ فى مدحه عشرين مجلداً؟!! إن أشهر المداحين لرسولنا الكريم هو حسان بن ثابت ثم البوصيرى فى بُرْدَته ثم أحمد شوقى أمير الشعراء وغيرهم ولكن الجميع لم يبلغوا ما بلغ الصرصرى ولن يبلغ غيره - فيما أعتقد - فهو فريد فى ذلك. ثم إن شأنه عجيب فى إعداده لقتال التتار بمفرده.. وقد أحسن الله مكافأته بمدحه لرسوله ﷺ وسائر الأنبياء فمنحه الشهادة عليه رحمة الله ورضوانه.

عجيبة فى الغدر

من وقائع سنة ١١ هـ وفى ترجمة مسيلمة الكذاب عليه لعنة الله روى ابن كثير عن الغادر الرَّجال بن عُنْفُوة بن نهشل فقال:... لما سمع مسيلمة بقدوم خالد عَسْكَر بمكان يُقال له: عقربا فى طرف اليمامة والريف وراء ظهورهم، وندب الناس وحثهم، فحشد له أهل اليمامة، وجعل على مجنبتى جيشه المحكم ابن الطفيل، والرَّجَّال بن عنفوة بن نهشل، وكان الرجال هذا صديقه الذى شهد له أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: إنه قد أشرك معه مسيلمة بن حبيب فى الأمر، وكان هذا الملعون من أكبر ما أضلَّ أهل ليمامة، حتى اتبعوا مسيلمة، لعنهما الله، وقد كان الرَّجال هذا قد وفد إلى النبى ﷺ وقرأ البقرة، وجاء زمن الردّة إلى أبى بكر فبعثه إلى أهل اليمامة يدعوهم إلى الله ويثبتهم على الإسلام، فارتد مع مسيلمة وشهد له بالنبوة.(١)

(١) المصدر السابق جـ ٦/ ٣٥٦.

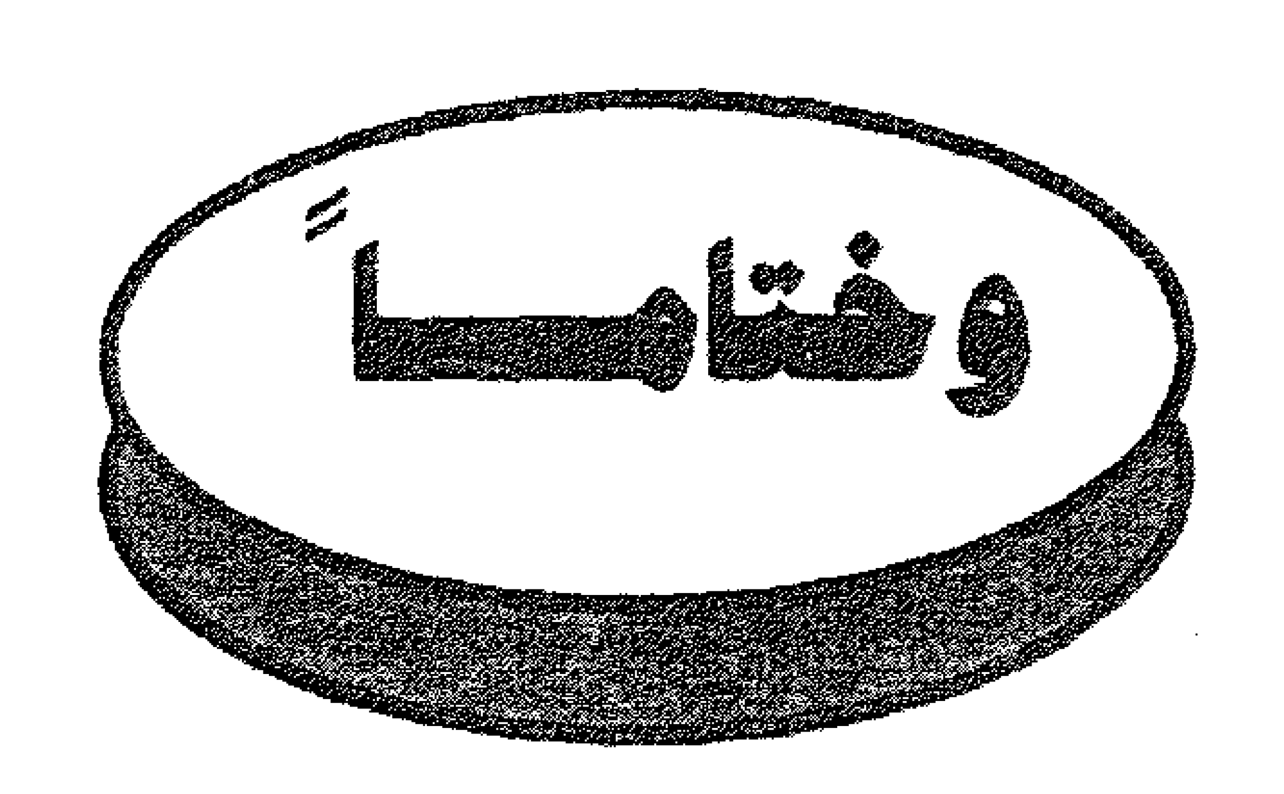


عجيبة فى الأمانة



من وقائع سنة ٦٥١ هـ ذكر ابن كثير أنَّ رجلاً بمكة نزع ثيابه ليغتسل من ماء زمزم وأخرج من عضده دملجاً (الدُّمْلُوجُ: المِعْضَد من الحُلىِّ/ اللسان) زنته خمسون مثقالاً فوضعه مع ثيابه، فلما فرغ من اغتساله لبس ثيابه ونسى الدملج ومضى، وصار إلى بغداد وبقى مدة سنتين بعد ذلك وأيس منه، ولم يبق معه شئ إلا يسيرا فاشترى به زجاجاً وقوارير ليبيعها ويتكسب بها، فبينما هو يطوف بها إذ زلف فسقطت القوارير فتكسرت فوقف يبكى واجتمع الناس عليه يتألمون له، فقال فى جملة كلامه والله يا جماعة لقد ذهب منى من مدة سنتين دملج من ذهب زنته خمسون ديناراً، ما باليت لفقده كما باليت لتكسير هذه القوارير، وماذاك إلا لأن هذه كانت جميع ما أملك، فقال له رجل من الجماعة: فأنا والله لقيت ذلك الدملج، وأخرجه من عضده فتعجب الناس والحاضرون!.





بعد هذه الرحلة الممتعة عبر التاريخ.. هل توقفتْ العجائب والغرائب؟.. بالطبع لا.. فمازال الله - سبحانه - يكشف لنا كل حين شيئاً من مكنون أسراره..

والأيام حوامل بالغريب والطريف الذى يولد بقَدَر الله فى أجل مسمى فتهتز له المشاعر، وتفغر له الأفواه وتتقلَّب له الأكف عجباً ودهشة..

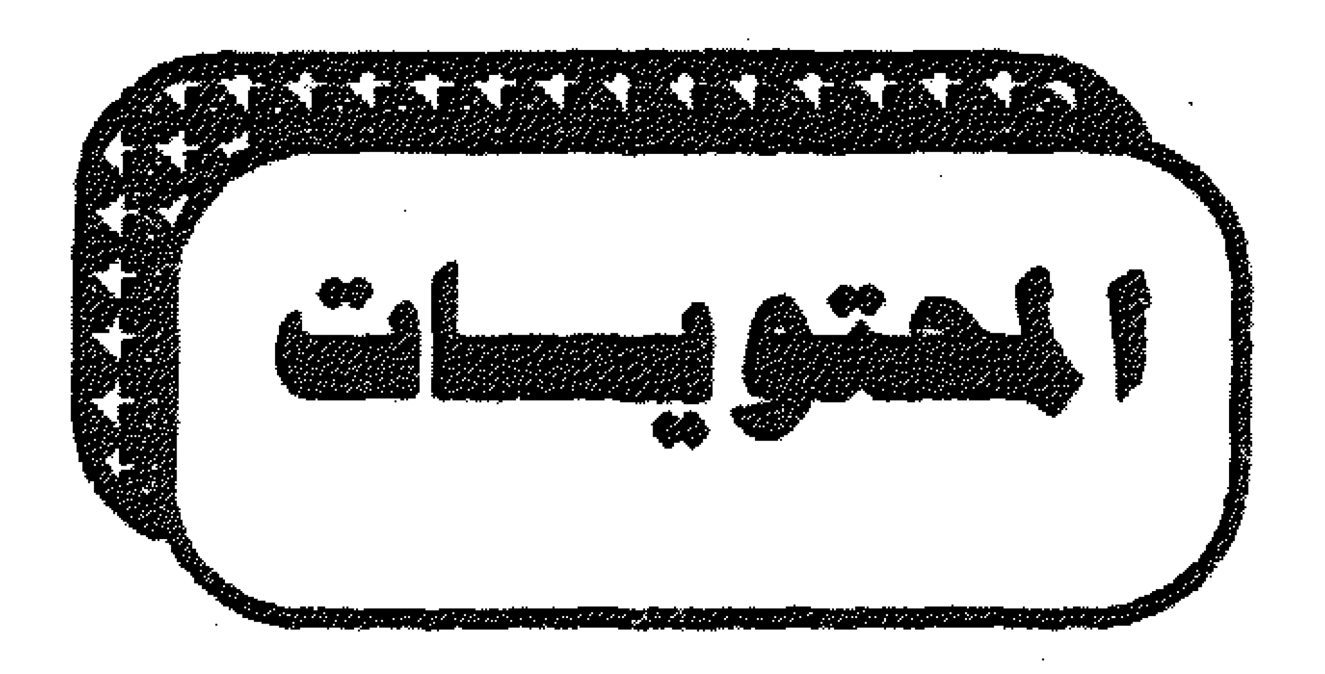
وقد تكون العجائب مفرحة أو محزنة.. ولكنها لا تنقطع. وفى عصرنا تحمل لنا الجرائد والإذاعات وشاشات التليفزيون العجائب فى عالم الإنسان أو الجن أو الحيوان أو النبات وتكشف الغرائب فى الأرض والفضاء..

والعجيب الذى يلفت الانتباه ما يقع من سلوك الإنسان فالشواهد المحزنة لمعاملاته مع بنى جنسه تدل على انطماس بصيرته وانعكاس فطرته.. وأنظر فى أخبار الحوادث التى تَبُثُّها وسائل الإعلام لترى العجائب.

وربما نلتقى مع هذه العجائب فى عمل قادم إن شاء الله.

حسن رمضان
مغاغة الجمعة ٢٤ صفر ١٤٢٢ هـ
١٨ مايو ٢٠٠١ م


فهرس الكتاب



المحتويات

إهداء ٣

مقدمة ٥

عجائب المخلوقات ٧

الصبية العمياء ٧

وباض الديك ٨

الرجل الحامل ٩

دابة البحر العجيبة ١٠

من عجائب الأرض ١٢

عبير الشهداء ١٣

من كنوز الأرض ١٣

التمثال العجيب ١٤

من عجائب البحار ١٥

عجائب فوق الأرض ١٦

عجائب المدن والقرى والأبنية ١٨

من عجائب المجاعات ٢٣

الطاعون	٢٤
الدفن ليلا	٢٥
الضرورات تبيح الأولاد	٢٦
من عجائب الحِيَل	٢٨
حيلة الفاروق رضي الله عنه	٢٨
حيلة عمرو بن العاص رضي الله عنه	٢٨
العبد العاشق	٣٠
هكذا تزول النعم	٣١
عجائب حدثت عند الموت	٣٣
وفاة غَادِر	٣٣
نهاية مُحسن	٣٤
شقى وسعيد!!	٣٥
موت نباش	٣٦
عجائب بعد الموت!!	٣٧
رجل آخر يتكلم بعد الموت	٣٨
سلام بعد الموت	٣٨
عاد من قبره	٤٠
عجائب الاتِّفَاق	٤٢

عاتكة وأزواجها ٤٢
من عجائب الاتِّفَاق!!، ٤٣
عجيبة فى اللقاء!! ٤٤
من عجائب الفَرَاسَة ٤٥
فراسة الإمام أبى حنيفة ٤٥
كما قال المُعْتَضِد ٤٦
فراسة الجُنَيْد ٤٧
فراسة واعظ!! ٤٨
من عجائب الذكاء ٥٠
عجائب إِيَاس ٥٠
إياس مع أبيه وأمه ٥٠
إياس مع أصحابه ٥١
محاورات إياس ٥٢
ذكاء الباقلانى ٥٣
عجائب تاريخية ٥٤
تفكُّر ليلة ٥٤
عاشق البلد الحرام!! ٥٤
لص ذو قدرات خاصة ٥٥

وكان المحامى حَيَّة!! ٥٥
رزق الله ٥٦
من عجائب الفجور!! ٥٧
قرآن مسيلمة الكذاب!! ٥٧
قُبَّة على قَدْر الكعبة ٥٩
فجور الحَلاَّج!! ٥٩
فجور فى شهر رمضان!! ٦١
من عجائب الإِنفَاق ٦٢
فرح المأمون وبوران!! ٦٢
جهاز قَطْر النَّدَى ٦٣
جهاز ابنة السلطان ملكشاه ٦٣
بدائع عمر بن عبد العزيز رحمه الله ٦٥
بدائع عبد الله بن المبارك ٦٧
من عجائب الطبيعة!! ٧٠
من عجائب البغى والعدوان!! ٧٢
مذبحة الحُجَّاج ٧٢
مقتل رجل من آل البيت!! ٧٣
بغى فى البيت الحرام!! ٧٣

شاتم الصدِّيق!! ٧٤

عجائب الشجاعة وأمور الحرب!! ٧٥

موقعة ذات العيون ٧٥

عجيبة فى التفاوض ٧٦

على وجه الماء ٧٧

شجاعة ابن الزبير ٧٨

حديث إلى الأسد!! ٨٠

عجيبة فى الجُبْن!! ٨١

من عجائب العقائد والعبادات ٨٢

(أولاً العقائد).

اعتقاد النبوَّة ٨٢

اعتقاد الأحمر!! ٨٣

طعام من الجنة!! ٨٣

ناصر فرعون!! ٨٤

(ثانياً العبادات).

أذان فى غير موعده. ٨٥

أين الهلال؟!! ٨٨

الحاج ميت ٨٨

مَنْ الذكى؟!	٨٩
من عجائب الكوارث!!	٩١
السيل الجَحَّاف بمكة!!	٩١
عام الغَلَيَان!!	٩١
ظل الفناء!!	٩٢
غضب الله!!	٩٣
من العجائب المتفرقة	٩٥
عجيبة فى النَّسب	٩٥
عجيبة فى الحَمْل	٩٥
عجيبة فى التَّمَلُّك	٩٦
عجيبة فى العِلْم والوعظ!!	٩٦
من أعجب المداحين فى التاريخ!!	٩٨
عجيبة فى الغدر!!	٩٩
عجيبة فى الأمانة!!	١٠٠
خاتمة...	١٠١

رقم الإيداع ١٦٠١٥ / ٢٠٠٣

الدار الذهبية للطبع والنشر والتوزيع

٨ ش الجمهورية - عابدين - القاهرة - ت : ٣٩١٠٣٥٤ - فاكس : ٧٩٤٦٠٣١

مكتبة الوعي

اليمن - تعز - ت : ٢٥٢٣٦٨ - فاكس : ٢٥٢٣٧٠

منشوراتنا في تونس لدى

المكتبة الجديدة للنشر والتوزيع

12 شارع نهج قرطاج - 2080 أريانة

هاتف : 01238303 - 01706892

فاكس : 01701787

